حياة امين الامة

أبو عُبَيدَة بنُ الجرّاح

محمود شلبي

حياة أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لكل أمة أمين ... وأمين هذه الأمة ... أبو عبيدة بن الجراح »

دار الجيل
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الإهداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أشهد أن لا إله إلا الله ..

وأشهد أن محمداً رسول الله ..

وبعد ..

لم يُكْرِم اللهُ أحداً من الأنبياء في أصحابه .. مِثل ما أكرمَ خاتم النبيين .. صلى الله عليه وسلم .. في أصحابه .. رضي الله تعالى عنهم ..

وإنك لتعجب عَجَباً لا يتناهى .. ما من أحدٍ من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلا وهو .. أُمّـة وحده !!

تتجمع فيه خصال الخير كلها .. في توازن وانسجام !!

عن عائشة قالت .

« سألَ رجلٌ النبيَّ .. صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناس خيرٌ ؟ ..

« قالَ : القرْنُ الذي أنا فيهِ .. ثمَّ الثاني .. ثمَّ الثالثُ . »

و « قالَ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : لا تسُبُّوا أصحابي .. لا تسُبُّوا أصحـــابي .. فوالذي نفسي بيدِهِ لوْ أنَّ أحدَكُمْ انفقَ مثلَ أحُدٍ ذهَبـــاً .. ما أدركَ مُدَّ أحَدِهمْ ولا نصيفَهُ . »

[رواهما مُسلم]

وقالوا : « وفضيلة الصحبة ، ولو لحظة ، لا يوازيها عمل ، ولا تنال درجتها بشيء » !!

وها هو أحد أصحابه ، رضي اللهُ عنهم ..

أبو عُبيدة بن الجرّاح !

ذلك العملاق من عمالقة الحقّ والحقيقة ..

سوف تشهد في هذا الكتاب .. إن شاء الله .. من عجائبه العُلى مـــا يدفعك أن تقول :

﴿مُحمَّدٌ رسولُ الله ..

﴿ والذينَ مَعَهُ ..

﴿أشِدَّاءُ على الكُفَّارِ ..

﴿رُحَماءُ بينَهُمْ ..

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ..

﴿ يَبْتَغُونَ فضلاً مِنَ اللهِ ورضْوَاناً ..

﴿سيماهُمْ في وُجوهِهم مِنْ أثَرِ السُّجُودِ ..﴾ !!

ولقد كان أبو عبيدة بن الجرَّاح، مثالاً فذّاً من هؤلاء العظماء الموصوفين .. ذلك الوصف الجميل !!

وهذا هو موضوع الكتاب ..

١٤٠٩ هـ
١٩٨٩ م

محمود شلبي

ذَلِكُم ...

أبو عُبيدَةَ ...

بنُ الجرّاح ..!؟

إنَّ أمينَنا .. أيَّتُها الأمةُ ..
أبو عُبيدَةَ بنُ الجرّاحِ ؟!

عن أبي قِلابَةَ قال :

« حدّثني أنسُ بنُ مـــالِكٍ ..

« أنّ رسولَ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. قالَ :

« **إنّ لِكُلّ أُمّةٍ أميناً ..**

« **وإنّ أمينَنا أيّتُها الأمّةُ ..**

« **أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ » ..**

[أخرجه البخاري في صحيحه]

أميناً .. حقّ .. امين ؟!

عن حذيفةَ .. رضي الله عنه .. قال :

« قال النبيُّ .. صلى الله عليه وسلم .. لأهلِ نجرانَ :

« لأبعثنّ ..

« يعني عليكمُ يعني ..

« امينا حقّ امينٍ ..

« فأشرفَ أصحابُهُ ..

« فبعثَ أبا عبيدةَ ..

« رضي الله تعالى عنهُ » ..

[أخرجه البخاري في صحيحه]

أَمينُ هذِهِ الامةِ .. ابو عُبيدَة بنُ الجرّاح ؟!

عن أنسِ بن مالكٍ قالَ :

« قالَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم :

« ارْحَمُ أمتي بامتي ابو بَكرٍ ..

« واشدُّهمْ في امر اللهِ عُمَرُ ..

« واصدَقهُمْ حَيَاءَ عُثمانُ ..

« وأعلمُهم بالحَلال والحَرَامِ مَعَاذُ بنُ جبَلٍ ..

« وافرَضُهُم زيدُ بنُ ثابتٍ ..

« واقرَؤُهمْ أُبَيُّ ..

« ولِكلّ أمّة امِينٌ ..

« وامِينُ هذِهِ الامة ..

« ابو عُبَيدَة بنُ الجرَاحِ » ..

[أخرَجه الترمذي]

إنَّ امينَ هذِهِ الامةِ ..
أبو عُبيدَة بنُ الجرّاح ؟!

عن أنس بن مالكٍ قـــالَ :

« قـــالَ رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم :

« ارْحَمُ أمتي بامتي ابو بَكرٍ ..

« وأشدُّهمْ في امْرِ اللهِ عُمَرُ ..

« واصدَقهُمْ حَيَاءً عُثمانُ ..

« واقرَؤُهم لكِتابِ اللهِ أُبيُّ بنُ كعْب ..

« وافرَضهُم زيدُ بنُ ثابت ..

« وأعلمُهم بالحلالِ والحرَامِ مُعاذُ بنُ جبَلٍ ..

« ألا وإنَّ لِكلِّ امةٍ اميناً ..

« وَإنَّ امين هذه الامةِ ..

« ابو عُبَيدة بنُ الجرّاحِ » ..

[اخرجه الترمذي]

★

ذلكم .. أبو عُبَيْدَة !!

أوْ .. شيء عن أبي عبيدة !

أوْ .. شهـــادة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لأبي عبيدة !

والآن .. هَلُمّ إلى .. حياة أمين الأُمة .. رضي الله تعالى عنه !

الخطوط العريضة ...

من حياة ...

أبي عبيدة بن الجرّاح ؟!

الأئمة

الأقدمون .. من ساداتنا العلماء الفقهاء ..

أصدق قيلاً .. من كثير من علماء اليوم ، الذين هم عالة على الأقدمين ، يقبسون من كنوزهم ، ويزخرفون ما اقتبسوا ، ثم يزعمون للناس أنهم هم المبدعون ..

واليك شيئاً مما قال السابقون الصادقون .. عن أبي عبيدة ، وكيف انهم لا يثرثرون ولا يتفيقهون .. وإنما خير الكلام ما قلّ ودلّ ..

قال الامام العيني في شرحه على صحيح البخاري :

بابُ مناقبِ أبي عُبيدَة بن الجرّاح ..
رضي الله عنه

« اي هذا باب في بيـــان مناقب أبي عبيدة ..

« واسمه .. عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن اهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر ..

« يجتمع مع النبي .. ﷺ .. في فهر بن مالك ..

« وأمه أم غنم .. بنت جابر بن عبدالله بن العلاء بن عامر ابن عميرة بن الوديعة بن الحارث بن فهر ..

« وهو .. امين هذه الأمة ..

« وقُتلَ أبوه يوم بدر كافراً ..

« ويقال انه هو الذي قتله ..

« ومات أبو عبيدة ، وهو أمير على الشام ، من قبل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ..

« مات سنة ثمان عشرة ، في طـــاعون عمواس ..

• وقبره بغور بيسان ، عنـد قرية تسمى عمتــا .

• وصلى عليه مَعَاذ بن جَبَل » .

*

• حدّثني أنسُ بنُ مالكٍ ..

• أنّ رسولَ اللهِ .. ﷺ .. قال :

« **إنّ لِكُلّ امّةٍ اميناً ..**

• **وإنّ أمِينَنا أيتها الامّةُ ..**

• **أبو عُبَيدَة بنُ الجرّاح » ..**

• الحديث أخرجه البخاريّ أيضاً في المغازي .

• وأخرجه مسلم في الفضائل .

• وأخرجه النسائي في المناقب .

• (أمِيننا) ـ الأمين الثقة الرضا .

• (ايتها الامةُ) ـ صورته صورة النداء ، لكن المراد منــه الاختصاص .. أي أميننا ، مخصوصين من بين الأمم أبو عبيدة .

• والامانة مشتركة بين أبي عبيدة وغيره من الصحابة .

« لكن المقصود بيان زيادتها في أبي عبيدة .

« والنبيّ .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. خصّ كل واحد من كبار الصحابة بفضيلة واحدة وصفه بها ، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره ..

« يوضح ذلك ما رواه الترمذي ، من حديث قتادة ، عن أنس بن مالك ، رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم :

« أرحم أمتي بأمتي أبو بكر

« وأشدهم في أمر الله عمر

« وأصدقهم حياء عثمان ..

« وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ..

« وافرضهم زياد بن ثابت ..

« واقرؤهم أبيّ بن كعب ..

« ولكل امة أمين ، وامين هذه الأمة ، أبو عبيدة بن الجراح .

« ورواه ابن حبان أيضاً . »

★

عن حذَيفَة .. رضي الله عنه قال :

« قال النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. لأهل نَجرَانَ :

« لأبعثنّ - يعني عليكم يعني -

« امينا حَقّ امينٍ ..

« فأشرَفَ اصحابُهُ ..

« فبَعث أبا عُبيدَةَ .. رضي الله تعالى عنهُ » ..

« الحديث أخرجه البخاريّ ايضاً في المغازي ..

« واخرجه مسلم في الفضائل ..

وأخرجه الترمذي في المناقب ..

« وأخرجه النسائي ..

« واخرجه ابن ماجه ..

« قال ابن إسحاق : قدم وفد نصارى نجران ، ستون راكباً ، منهم اربعة وعشرون رجلاً من اشرافهم ، وثلاثة منهم يؤول اليهم أمرهم .. وهم العاقب والسيد وأبو حارثة - أحد بني بكر بن وائل اسقفهم وصاحب مدارسهم -

« ولما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان ،

وقد حانت صلاة العصر ، فقاموا يصلون إلى المشرق .

« **فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : دعوهم ..**

« وكان المتكلم ابا حارثة .. والسيد .. والعاقب ..

« وسألوه ان يرسل معهم اميناً ..

« **فبعث معهم ابا عبيدة بن الجرّاح ..**

« وكان أبو حارثة يعرف أمر رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق ..

« (لأبعثنّ) : اي لما سألوا أن يرسل اليهم أميناً ، قال لأبعثنّ اليكم رجلاً أميناً حقّ امين ..

« (فاشرَفَ اصحابهُ) : اي تطلعوا إلى الولاية ، ورغبوا فيها ، حرصاً على أن يكون هو الأمين الموعود في الحديث ، لا حرصاً على الولاية من حيث هي ..

« وفي رواية مسلم . فاستشرف لها أصحاب رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم .

« **(فبَعَثَ أبا عُبيدَة) ..**

وفي رواية ابي يعلى :

« قم يا أبا عبيدة .. فأرسله معهم . ».

نِعمَ الرجلُ ..
أبو عُبيدة بنُ الجرّاح ؟!

عن ابي هُريرَةَ .. رضي الله عنه قال :

« قال رسولُ اللهِ .. ﷺ :

« نِعْمَ الرّجـــلُ أبو بَكْرٍ ..

« نِعْمَ الرّجلُ عُمرُ .

« نعْم الرّجُلُ ابو عُبَيْدَةَ بنُ الجرّاح ..

« نِعْمَ الرّجلُ أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ ..

« نِعْمَ الرجلُ ثابتُ بنُ قَيْسٍ بن شَمّـاسٍ ..

« نِعمَ الرّجلُ مَعَاذُ بنُ جَبَلٍ ..

« نِعمَ الرّجلُ مُعاذُ بن عَمرو بن الجَمُوحِ . »

[أخرجه الترمذي .. وقال
هذا حديثٌ حسنٌ .]

اقول : إذا قال سيد الأولين والآخرين : نِعْمَ الرّجلُ .. أبو عَبَيــدَةَ بنُ الجراحِ ..

عُلِمَ هنالك .. ان ابا عُبَيدَة ، قد نال اشرف مــا ينال !!

قال الامام ابن العربي المالكي ، شرحـا على صحيح الترمذي :

« واما ابو عبيدة ، فقد كان ممن يرى تقديمه في الامـانة ، على جميع الصحـــابة ، عمر ..

« حتى روي عنه أنه ، لو كان حيّاً ، عند موت عمر ، ما عهد إلى سواه .. » !!

★

عن حذَيفةَ بن اليمانِ قال :

« جاءَ العاقِبُ والسَّيِّدُ إلى النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. فقــالا :

« ابعَثْ معَنا امينا ..

« فقالَ : فاني سابعَثُ معكم امينا حقّ امينٍ ..

« فأشرَفَ لها الناسُ ..

« فبَعثَ أبا عُبَيدةَ بن الجرّاح .. رضي الله عنه » ..

*

وقـد رُويَ عن عُمرَ .. وأنسٍ .. رضي الله عنهما ..

« عن النبيّ .. ﷺ .. قالَ :

« لِكلّ أمّة امينٌ ..

« وامينُ هذِهِ الامّةِ ..

« ابو عُبَيدَة بنُ الجرّاح » ..

[رواهما الترمذي]

متى ..

اسامَ ..

البطل ؟!

قال تعالى :

﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُون .

﴿ أُولئِكَ المُقَرَّبونَ .

﴿ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ .

﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ . ﴾

[الواقعة ١٠ ـ ١٤]

وأبو عبيدة من اسبق السابقين ..

فهو في ترتيب أوّل من أسلم هكذا :

قال ابن هشام :

« وآمنت به خديجة بنت خويلد ..

« ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .. عليّ بن أبي طالب ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ..

« ثم أسلم زيد بن حارثة ، مولى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد عليّ بن أبي طالب .

« ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ..

« فأسلم بدعائه .. عثمان بن عفان ، والزبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ، ﷺ ، حين استجابوا له ، فأسلموا وصلوا ..

« فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام .. »

اقول : وهؤلاء الثمانية الذين سبقوا الناس هم :

١ – عليّ بن أبي طالب ..

٢ – زيد بن حارثة ..

٣ – ابو بكر بن قحافة ..

٤ – عثمان بن أبي عفّان ..

٥ – الزبير بن العوّام ..

٦ – عبد الرحمن بن عوف ..

٧ – سعد بن أبي وقّاص ..

٨ – طلحة بن عبيد الله ..

هؤلاء هم العمالقة الثمانية ، الذين سبقوا الناس جميعاً إلى الاسلام من الرجال .

فمن هو العملاق التاسع ؟!

مَن هو هذا التاسع السعيد ؟

قال ابن هشام :

« ثم اسلم .. أبو عُبَيْدَةَ بن الجرّاح ..

« واسمه .. عامر .. بن عبدالله .. بن الجرّاح .. بن هلال .. بن اهيب .. بن ضبة .. بن الحارث .. بن فهر .

« وأبو سلمة ..

« والارقم بن أبي الارقم .. » الخ ..

إلى أن قـال :

« ثم دخل الناس في الاسلام أرسالاً ، من الرجـــال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة .. » !

اقول .. العملاق التاسع ، من عمالقة النور ، من أئمة البشرية إلى

أن تقوم الساعة ..

كان .. أبا عُبَيْدَةَ بن الجرّاح !!

وهذا شرف عظيم ، يستفتح به أبو عُبَيْدَةَ ، حياته المباركة الجليلة ..

رضي الله تعالى عنه !

ابو عُبيدة ...

مهاجراً ...

الى الحبشة ؟!

يروي

الرواة ، أن أبا عبيدة وُلِد في العام الاربعين قبل الهجرة .

أي أنه دخل الاسلام شاباً ، في السابعة والعشرين من عمره .

باعتبار أنه أسلم في السنة الأولى من البعثة النبوية الشريفة .

ويروي الرواة كذلك أنه توفي في السنة الثامنة عشرة هجرية .

اي وله من العمر ثمان وخمسون عاماً .

اي أن حياته في الاسلام كانت نحواً من ثلاثين عاماً .

أي أنّ ابا عُبَيدَة عاصر الاسلام من أول لحظة من البعثة الشريفة ، وغادر الدنيا إلى ربه ، في احسن فترة كانت في تاريخ الاسلام كله ، فترة النبوة ، وخلافة ابي بكر ، وخلافة عمر .

ثلاثون عاماً او تزيد ، وأبو عبيدة يعايش احداث الاسلام الأولى ، ويشارك في كل امر صغير او كبير ، يُوكل اليه ، في

اخلاص نادر !

اسلم ابو عبيدة ، سابقاً جميع المسلمين ، إلا هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوه إلى الاسلام .

فسجل له التاريخ ، فضلين ، فضل السبق ، وفضل الصُحبة ، التي تفوق كل فضل .

فهو صاحب رسول الله ، وهو اسبق اصحاب رسول الله ، إلا هؤلاء الثمانية .

وانتقل ابو عُبَيدَة من الظلمات إلى النور .

وبدأ يشهد المشاهد كلها ، ساعة ساعة ، لا يفوته خير ما ، من التلقي من رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام :

« فلما رأى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من البلاء .

« قال لهم : لو خرجتم إلى ارض الحبشة ، فإن بها مَلِكاً لا يظلم عنده احد ، وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه .

« فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أرض الحبشة ، مخـــافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت اول هجرة كانت في الاسلام » .

وجعل إبن هشام يعدّد أسماء من خرج مهاجراً ..

إلى ان قـــال :

« ومن بني الحارث بن فهر ..

« ابو عبيدة بن الجراح ..

« وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .. »

إلى ان قـــال :

« فكان جميع من لحق بأرض الحبشة .. وهاجر اليهـــا من المسلمين .. ثلاثة وثمانين رجلاً .. »

هاجر ابو عبيدة إلى الحبشة ، وشهد المشهد الخـــالد امام النجاشي ، حين دعاهم اليه فاجتمعوا عنده ، يسألهم عمـــا زعمه عمرو بن العـاص بشأنهم .

فكيف كان ذلك ؟

قال ابن هشام :

• فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد امنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وانهم قد اصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي .

فيردهم عليهم ، ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وآمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ، ثم بعثوهما اليه فيهم .

★

وقال ابو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ، ابياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم :

الا ليت شعري كيف في النأي جعفر

وعمرو واعداء العدو الأقارب

وهل نالت افعال النجاشي جعفراً

واصحابه او عاق ذلك شاغب

تعلم ، ابيت اللعن ، انك ماجد

كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة

واسباب خير كلها بك لازب

وانك فيض ذو سجال غزيرة

ينال الأعادي نفعها والاقارب

★

قال ابن اسحاق :

حدثني محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا ارض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، امنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، ائتمروا بينهم ان يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من اعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له ادماً كثيراً . ولم يتركوا من بطارقته

بطريقاً إلا اهـدوا له هدية .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة ، وعمرو بن العـــاص ، وامروهما بامرهم ، وقالوا لهما :

ـ ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم .

قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، ولم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديتـه قبل ان يكلما النجـاشي ، وقـالا لكل بطريق منهم :

ـ إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا انتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم اشراف قومهم ليردهم اليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم اعلى بهم عيناً ، واعلم بما عابوا عليهم .

فقالوا لهما : نعم .

ثم انهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما .

ثم كلمـاه فقالا له :

ـ ايها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا

دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجـــاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فهم اعلى بهم عيناً ، واعلم بمـا عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

قـــالت : ولم يكن شيء ابغض إلى عبد الله بن ابي ربيعة وعمرو بن العـاص من ان يسمع كلامهم النجـاشي .

قـالت : فقالت بطـــارقته حوله :

ـ صدقا ايها الملك ، قومهم اعلى بهم عيناً ، واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجـاشي ، ثم قال :

ـ لاها الله ، إذن لا أسلمهم اليهما ، ولا يكاد قوم جـاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فاسالهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

★

قالت : ثم ارسل إلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم .

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا ، نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سالهم فقال لهم :

ـ ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب .

فقال له :

ـ ايها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ،

وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت : فعدد عليه امور الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك بـه شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما احل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك .

قالت : فقال له النجاشي :

ـ هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت : فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه علي .

قالت : فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » .

قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجـــاشي :

– إن هذا والذي جـــاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا : فلا والله لا أسلمهم اليكما ، ولا يكادون .

*

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص :

– والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم .

قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة ، وكان أتقى الرجلين فينا :

– لا نفعل ، فإن لهم ارحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا .

قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى إبن مريم عبد .

قالت : ثم غدا عليه الغد فقال :

– ايهـا الملك ، إنهم يقولون في عيسى إبن مريم قولاً عظيمـاً ، فأرسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه .

قالت : فـأرسل اليهم ليسألهم عنـه .

قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قـــال

بعضهم لبعض :

ـ ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟

قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن .

قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم :

ـ ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟

قالت : فقال جعفر بن أبي طالب :

ـ نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها إلى مريم العذراء البتول .

قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال :

ـ والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود .

قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال .

فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بارضي ـ والشيوم : الآمنون ـ من سبكم غرم .

ثم قال : من سبكم غرم .

ثم قال : من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني

آذيت رجلاً منكم .

قال ابن هشام :

ـ ويقال دبراً من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر ، الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فاطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

★

قالت : فوالله انا لعلى ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه .

قالت : فوالله ما علمتنا حزناً حزناً قط ، كان اشد من حزن حزناه عند ذلك ، تخوفاً ان يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه .

قالت : وسار اليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل :

قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟

قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا .

قالوا : فانت ، وكان من أحدث القوم سناً .

قالت : فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم .

ثم انطلق حتى حضرهم .

قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده .

قالت : فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمح بثوبه وهو يقول :

ــ ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، واهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده .

قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها .

قالت : ورجع النجاشي ، وقد اهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده ، واستوثق عليه امر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . »

ثم يقول ابن هشام :

« وبلغ اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. الذين خرجوا إلى ارض الحبشة ، اسلام اهل مكة ..

فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ...

حتى إذا دنوا من مكة .. بلغهم ان ما كانوا تحدثوا به من اسلام اهل مكة كان باطلاً ..

فلم يدخل منهم احد إلا بجوار او مستخفياً .

فكان ممن قدم عليه مكة منهم .. فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدراً .

ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ..

ومن مات بمكة ..

منهم عثمان بن عفّان ..

معه امرأته رقيّة بنت رسول الله .. ﷺ .. »

وجعل إبن هشام يذكر اسماء من عادوا .

إلى ان قال :

« ومن بني الحارث بن فهر ..

« ابو عبيدة بن الجرّاح ..

« وهو عامر بن عبدالله بن الجرّاح .. »

ثم قال :

« فجميع من قدم عليه مكة من اصحابه .. من ارض الحبشة .. ثلاثة وثلاثون رجلا .. »

اقول : وكان ابو عبيدة احد هؤلاء العظماء ..

والراجح عندي .. انه أخذ مكانه .. إلى جوار أحبّ الناس اليه .. ﷺ .. حتى كانت الهجرة ..

فكيف هاجر أبو عبيدة ؟!

ابو عُبيدة ...

مهاجراً ...

الى المدينة ؟!

كيف كانت الهجرة ؟

فلمـــا عتت قريش على الله عز وجل ، وكذبوا نبيه ﷺ ، وعذبوا ، ونفوا ، من عَبَـده ووحـده وصدق نبيه ، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال .

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب :

﴿ أُذِنَ لِلذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا رَبُّنا الله .. ﴾

فلمـا أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب ، وتابعـه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهـــاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة ، والهجرة اليهـــا ، واللحوق

باخوانهم من الأنصار .

وقال :

« إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنُونَ بها » .

فخرجوا أرْسالاً[1] .

واقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

واجتمع أشراف قريش ، وغيرهم ممن لا يُعَدّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من امره ما قد رأيتم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأياً .

فقال قائل منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به الموت .

ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين اظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ، ولا حيث وقع .

---

(١) طائفة بعد طائفة .

فقال ابو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ، ما اراكم وقعتم عليه بعد .

قالوا : ومـــا هو يا أبا الحكم ؟

قال : ارى أن ناخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يَعْمَدوا اليـــه ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً .

فأتى جبريل رسول الله .. صلى الله عليــه وسلم .. فقــال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت ظلمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه .

فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب :

« نم على فراشي ، وتَسَجّ ببُرْدِي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم » .

وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام .

فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم انكم إن تابعتموه على أمره

لكنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها !

وخرج عليهم رسول الله ﷺ ، ثم قال :

« نعم انا اقولُ ذلكَ ، انت احَدُهم » ..

واخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه .

فلما اجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى ابا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته .

ثم عمدا إلى غارٍ بثَوْرٍ جَبَلٍ باسفل مكة ، فدخلاه .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً .

فدخل ابو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ ، فلمس الغار لينظر أفيه سَبُع او حية ؟ يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه !

فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه ابو بكر .

وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم .

حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس اتاهما صاحبهما

الذي استأجراه ببعيريهما ، وبعير له .

فركبا .. وانطلقا ..

واردف أبو بكر الصديق ، عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

وكانوا أربعة : رسول الله .. وابو بكر .. وعامر .. وعبد الله ابن أرقط دليلهما .

فلما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى قدما المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

وكان بين خروجه من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه اقام بغار ثور ثلاثة أيام .

ورسول الله ﷺ ، يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة .

وكان الطريق الذي سلكوه غير الطريق المألوفة وابعد منها .

وصوله الى المدينة

وروي عن رجال من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

ـ لما سمعنا مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، انتظرنا قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرّتنا ننتظره ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الجبال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في ايام حارة .

قالوا : حتى إذا كان اليوم الذي قدُوم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فيه جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا .

وقدم رسول الله .. ﷺ .. حين دخلنا البيوت ، فكان اول من رآه رجل من اليهود .

فصرخ اليهودي باعلى صوته : هذا جدكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله ﷺ ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه ، واكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ

قبـل ذلك .

وازدحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر .

حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقـام أبو بكر فـاظله برداثه ، فعرفناه عند ذلك !

وأقام علي بن ابي طالب بمكة ثلاث ليال وايامهـا ، حتى ادى عن رسول الله ﷺ ، الودائع التي كانت عنده للنـاس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ .

بناء مسجد رسول الله

وبركت ناقة رسول الله ﷺ على موضع لغلامين يتيمين من بني النجـار .

فأمر به رسول الله ﷺ ان يبني مسجداً ، ونزل على ابي ايوب حتى بنى مسجده ومساكنه .

فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيـه .

ثم انتقل إلى مساكنه من بيت ابي ايوب .

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون او محبوس .

بدء التنظيم

وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم واموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

« هذا كتابٌ من محمد النبي .. صلى الله عليه وسلم .. بين المؤمنين والمسلمين ، من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم امة واحدة من دون النـــاس .. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مردّه إلى الله عز وجل ، والى محمد صلى الله عليه وسلم .. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين مـــا داموا محاربين ، وإن يهود بني عوْف امة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم .. » .

يؤاخي بين المهاجرين والانصار

آخى رسول الله ﷺ ، بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه من المهاجرين والأنصار .

فقال :

« **تآخَوْا في الله أخوَيْن أخوَيْن** » ..

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال :

« **هذا أخي** » !

فكان رسول الله ، ﷺ ، سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين !

وكان حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله ، وزيد بن حارثة مولى

رسول الله ، ﷺ ، اخوين .

وتلك هي الأخوة الصادقة ، التي تزول فيها الحواجز والطبقات .

كيف كان الاذان ؟

وقد كان رسول الله ، ﷺ ، حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة .

فهمّ رسول الله ﷺ ، حين قدمها أن يجعل بوقـاً كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم .

ثم كرهه .

ثم أمر بالناقوس ، فنحت ليُضرَبَ به للمسلمين للصلاة .

فبينا هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد النداء ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال له :

ـ يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طـائف : مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبدالله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : ومـا تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة .

قال : أفلا أدُلُّكَ على خير من ذلك ؟ قلت : ومـــا هو ؟ قال : تقول :

« الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، اشهد ان لا إله إلا الله ، اشهد أن لا إله إلا الله ، اشهد ان محمداً رسول الله ، اشهد ان محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، الله اكبر ، الله اكبر ، لا إله إلا الله .. »

فلما أخبر بها رسول الله ، ﷺ ، قال :

« إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذّن بها ، فانه اندى صوتاً منك » ..

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطـاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله ، ﷺ ، وهو يجر رداءه وهو يقول :

« يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رايت مثل الذي رأى » .

فقال رسول الله ﷺ :

« فلله الحمد » ..

*

أقول :

هاجر أبو عبيدة إلى المدينة ، مع من هاجر اليها ..

ونزل على إحدى دور الانصار .. مع مَن نزل ..

وشهد استقبال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حين وصل إلى المدينة ..

وشارك في الأحداث التي كانت تجري امام عينيه .

وشهد مشهد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ..

قال ابن اسحاق :

« وكان أبو بكر .. وخارجة بن زهير .. أخوين ..

• وعمر بن الخطاب .. وعتبان بن مالك .. أخوين ..

• وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح .. واسمه عامر بن عبد الله .. وسعد بن مُعاذ .. أخوين .. » !!

قُم يا أبا عُبيدةَ بن الجرّاح ...

فلما قام ...

قالَ رسول الله ﷺ :

هذا أمين هذه الأمة ؟!

ندخل

الآن .. إلى مشهد خالد من مشاهد أبي عبيدة الخالدة ..

حين قال رسول الله .. ﷺ :

« لأبعثنّ معكمْ رجُلا .. اميناً .. حقّ امينٍ ..

« فاستشرفَ لهُ اصحابُ رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« فقالَ : قُمْ يا ابا عُبَيْدَةَ بنَ الجرّاحِ ..

« فلمّا قامَ ..

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« هذا أمينُ هذهِ الأمّةِ .. »

[من حديث البخاري]

متى كان ذلك ؟!

اليك الأقصوصة .. كما ذكرها ابن هشام :

أمر السيد والعاقب وذكر المباهلة ؟!

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله ﷺ ، وفد نصارى نجران ، ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يئول أمرهم : العاقب ، امير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ، لهم ثمالهم[1] ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدارسهم .

---

(١) ثمالهم : اصلهم الذي يقصدون اليه .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه واخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً ، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كوز ابن علقمة

قال ابن هشام :

ويقال كرز .

فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ . فقال له أبو حارثة : بل انت تعست ! فقال . ولم يا أخي ؟

قال ، والله انه النبي الذي كنا ننتظر . فقال له كوز ، ما يمنعك منه وانت تعلم هذا ؟ قال . ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد ابوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى .

فاضمر عليها منه اخوه كوز بن علقمة ، حتى اسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدّث عنه هذا الحديث فيما بلغني .

قال ابن هشام .

وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم . فكلما مات رئيس منهم ، فافضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها .

فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فعثر .

فقال له ابنه . تعس الأبعد ! يريـد النبي ﷺ .

فقال له أبوه . لا تفعل ، فإنه نبي ، واسمه في الوضائع ، يعـني الكتب .

فلما مات لم تكن لابنه همة إلا ان شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي ﷺ ، فاسلم فحسن اسلامة وحج ..

* * *

قال إبن اسحاق :

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال :

ــ لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلوا

عليه بمسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات ، جبب وأردية ، في جمال ورجال بني الحارث بن كعب .

قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ :

ـ ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون .

فقال رسول الله ﷺ : دعوهم .

فصلوا إلى المشرق .

قال ابن إسحاق :

فكانت تسمية الأربعة عشر ، الذين يئول إليهم أمرهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويحنس ، في ستين راكبـــاً .

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد ـ وهم من النصرانيـــة على دين

الملك[1] ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون ، هو الله . ويقولون ، هو ولد الله . ويقولون ، هو ثالث ثلاثة .

وكذلك قول النصرانية . .

فهم يحتجون في قولهم : « هو الله » .

بانـه كان يحيي الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بامر الله تبارك وتعالى :

﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ . .

ويحتجون في قولهم « إنه ولد الله » .

بانهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم

(١) دين الملك ، اي ملكانية ، اي كاثوليك ويقولون : إن الآلهة ثلاثة كل إله مستقل عن غيره ومنفصل عنه وهم : الآب - اي الله والابن - اي المسيح - والروح القدس .
ويقولون عن المسيح ايضاً . إنه إبن الله .
واما الذين يقولون : إن الله هو المسيح فهم اليعقوبية اي الارثوذكس ويقولون عن المسيح ايضاً : انه ابن الله . ويقولون الله ظهر في جسد المسيح عيسى . فالله نفسه هو المسيح - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم « إنه ثالث ثلاثة »

بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم .

ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلمه الحبران : قال لهما رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : أسلما . قالا : قد إسلمنا . قال . إنكما لم تسلما .

قالا . بلى ، قد اسلمنا قبلك . قال . كذبتما ، يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصلب ، وأكلكما الخنزير . قالا . فمن أبوه يا محمد ؟

فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما .

فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها .

فقال جل وعز

﴿ الم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ..

فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق

والأمر ، لا شريك له فيه ، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم .

فقال .

﴿ الم . الله لا إله إلا هو ﴾ ..

ليس معه غيره شريك في أمره

﴿ الحي القيوم ﴾ ..

الحي الذي لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب في قولهم .

والقيوم . القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به ، وذهب عنه إلى غيره .

﴿ نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ ..

اي بالصدق فيما اختلفوا فيه

﴿ وانزل التوراة والانجيل ﴾ ..

التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله .

﴿ وأنزل الفرقان ﴾ ..

اي الفصل بين الحق والباطل ، فيما اختلفت فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره .

﴿ إن الذين كفروا بآيات الله ، لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام ﴾ ..

أي أن الله منتقم ممن كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيهما .

﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ﴾ ..

أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه إلهاً ورباً ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرة بالله ، وكفراً به .

﴿ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ﴾ ..

اي قد كان عيسى ممن صور في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل .

ثم قال تعالى انزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه .

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ..

العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده .

﴿ **هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب** ﴾ ..

فهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه .

﴿ **وأخر متشابهات** ﴾ ..

لهن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، الا يصرفن إلى الباطل ، ولا يحرفن عن الحق .

يقول عز وجل

﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ** ﴾ ..

أي ميل عن الهدى

﴿ **فيتبعون ما تشابه منه** ﴾ ..

اي ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا واحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة

﴿ **ابتغاء الفتنة** ﴾ ..

أي اللبس .

﴿ وابتغاء تأويله ﴾ ..

ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم . خلقنا وقضينا . يقول

﴿ وما يعلم تأويله ﴾ ..

اي الذي به أرادوا ما ارادوا

﴿ إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ ..

فكيف يختلف وهو قول واحد : من رب واحد .

ثم ردوا تأويل التشابه على ما عرفوا من تـــأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضاً ، ونفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ودمغ به الكفر .

يقول الله تعالى في مثل هذا

﴿ وما يذكر ﴾ ..

في مثل هذا

﴿ إلا اولوا الألباب ﴾ ..

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ ..

أي لا تمل قلوبنـا ، وإن مللنا باحداثنا .

﴿ وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ﴾ ..

ثم قال :

﴿ شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم ﴾ ..

بخلاف ما قالوا

﴿ قائماً بالقسط ﴾ ..

أي بالعدل ..

﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام ﴾ ..

اي ما انت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسل .

﴿ وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ ..

اي الذي جاءك ، اي أن الله الواحد الذي ليس له شريك .

﴿ بغياً بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك ﴾ ..

أي بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا فإنما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق .

﴿ فقل اسلمت وجهي لله ﴾ ..

أي وحده .

﴿ ومن اتبعن ، وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ﴾ ..

الذين لا كتاب لهم .

﴿ ءأسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ ..

* * *

ثم جمع اهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما احدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال :

﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ ..

إلى قوله

﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ ..

أي رب العباد ، والملك الذي لا يقضي فيهم غيره .

﴿ تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ﴾ ..

أي لا إله غيرك

﴿ انك على كل شيء قدير ﴾ ..

اي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك .

﴿ تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ ..

بتلك القدرة

﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ ..

لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت .

أي فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون انه إله ، من احياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلق للطير من الطين ، والاخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقاً له في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه تمليك الملوك بامر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وإخراج الحي من الميت ، وإخراج الميت من الحي ، ورزق من شئت من بر او فاجر بغير حساب . فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، افلم تكن لهم في ذلك عبرة وبينة ! ان لو كان إلهاً كان ذلك كله اليه ، وهو في علمهم يهرب من الملوك ،

وينتقل منهم في البلاد ، من بلد إلى بلد .

* * *

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله** ﴾ ..

اي ان كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله وتعظيماً له

﴿ **فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ ..

اي ما مضى من كفركم

﴿ **والله غفور رحيم ، قل اطيعوا الله والرسول** ﴾ ..

فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم

﴿ **فان تولوا** ﴾ ..

اي على كفرهم

﴿ **فان الله لا يحب الكافرين** ﴾ ..

* * *

ثم استقبل لهم امر عيسى وكيف كان بدء ما اراد الله به ، فقال

﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض ، والله سميع عليم ﴾ ..

ثم ذكر امر امرأة عمران ، وقولها

﴿ رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ ..

أي نذرته فجعلتـه عتيقاً ، تعبده لله ، لا ينتفع بـه لشيء من الدنيــــا

﴿ فتقبل مني انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قـالت رب اني وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى ﴾ ..

اي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة

﴿ واني سميتها مريم ، واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ ..

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتاً حسناً ، وكفلهـــا زكريا ﴾ ..

بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام : كفلها . ضمها .

* * *

قال إبن اسحاق :

فذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به ، وما أعطاه إذ وهب له يحيى .

ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها :

﴿ يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ ..

يقول الله عز وجل

﴿ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم ﴾ ..

اي ما كنت معهم

﴿ اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ﴾ ..

قال ابن هشام :

اقلامهم : سهامهم ، يعني قداحهم التي استهموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضمها .

﴿ وما كنت لديهم اذ يختصمون ﴾ ..

أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها ، يخبره بخفي مـا كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما اخفوا منه .

ثم قال

﴿ اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ..

أي هكذا كان امره ، لا كما تقولون فيه

﴿ وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴾ ..

اي عنـد الله .

﴿ ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ ..

يخبرهم بحـالاته التي يتقلب فيهـا في عمره ، كتقلب بني آدم في أعمارهم ، صغاراً وكبـاراً ، إلا ان الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته ، وتعريفاً للعباد بمواقع قـدرته .

﴿ قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قـال كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾ ..

أي يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر او غير بشر .

﴿ **إذا قضى امرا فانما يقول له كن** ﴾ ..

مما يشاء وكيف شاء .

﴿ **فيكون** ﴾ ..

كما اراد .

ثم اخبرها بما يريد به ، فقال

﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة** ﴾ ..

التي كانت فيهم من عهد موسى قبله

﴿ **والانجيل** ﴾ ..

كتابا آخر احدثه الله عز وجل اليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده .

﴿ **ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم** ﴾ ..

اي يحقق بها نبوتي ، اني رسول منه اليكم .

﴿ **اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله** ﴾ ..

الذي بعثني اليكم ، وهو ربي وربكم .

﴿ وأبرىء الاكمه والابرص ﴾ ..

قال ابن هشام : الأكمه : الذي يولد أعمى .

﴿ واحيي الموتى باذن الله ، وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لآية لكم ﴾ ..

اني رسول الله من الله اليكم

﴿ ان كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ ..

اي لما سبقني عنها .

﴿ ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ ..

أي اخبركم به انه كان عليكم حراماً فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تبعاته .

﴿ وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون ، ان الله ربي وربكم ﴾ ..

أي تبرياً من الذين يقولون فيه ، واحتجاجاً لربه عليهم .

﴿ فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ ..

اي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم بـه .

﴿ فلما احس عيسى منهم الكفر ﴾ ..

والعدوان عليـه .

﴿ قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله آمنـــا بالله ﴾ ..

هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم

﴿ واشهد بأنا مسلمون ﴾ ..

ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه

﴿ ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ ..

أي هكذا كان قولهم وإيمانهم .

ثم ذكر رفعه عيسى اليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال

﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ ..

ثم اخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعـه وطهره منهم ، فقـــال

﴿ اذ قال الله يا عيسى أني متوفيك ورافعك اليّ ، ومطهرك من الذين كفروا ﴾ ..

إذ هموا منك بمـا هموا

﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ﴾ ..

ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله :

﴿ **ذلك نتلوه عليك** ﴾ يا محمد ﴿ **من الآيات والذكر الحكيم** ﴾ ..

القاطع الفاصل الحق ، الذي لا يخالطه البـــاطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلن خبراً غيره .

﴿ **ان مثل عيسى عند الله** ﴾ فاستمع ﴿ **كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك** ﴾ ..

أي ما جاءك من الخبر عن عيسى

﴿ **فلا تكن من الممترين** ﴾ ..

اي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه .

وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر فقـــد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير انثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودماً ، وشعراً وبشراً ، فليس خلق عيسى من غير ذكر باعجب من هـذا .

﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم** ﴾ ..

اي من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره .

﴿ **فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ ..

قال ابن هشام

قال ابو عبيدة . نبتهل : ندعو باللعنة .

ونبتهل ايضاً : نجتهد ، في الدعاء .

قال ابن اسحـــاق

﴿ ان هذا ﴾ ..

الذي جئت به من الخبر عن عيسى

﴿ فهو القصص الحق ﴾ من امره ﴿ وما من اله الا الله ، وان الله لهو العزيز الحكيم . فان تولوا ، فان الله عليم بالمفسدين . قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ؛ فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ ..

فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحجة .

* * *

فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما امر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له . يا أبا القاسم ،

دعنا ننظر في امرنا ، ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه .

فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا .
يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟

فقال . والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فان كنتم قد ابيتم الا الف دينكم ، والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا .

يا ابا القاسم ، قد رأينا الا نلاعنك ، وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم عندنا رضا .

* * *

قـــال محمد بن جعفر

فقال رسول الله صلى اللهُ عليـه وسلم..

ـ ائتوني العشية ابعث معكم القوي الامين .

قال : فكان عمر بن الخطاب يقول . ما أحببت الامـارة قط حبي إياها يومئذ ، رجاء ان اكون صاحبهـــا ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلمـا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره .

فجعلت اتطاول له ليراني ، فـلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى آبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال

ـ اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

قال عمر

ـ فذهب بهـــا أبو عبيدة .

رواية البخاري

قصةُ اهلِ نَجرانَ ؟

اي هذا بيان قصة اهل نجران ..

وهو بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهـــة اليمن .. يشتمل على ثلاث وسبعين قرية .. وكان نجران منزلاً للنصارى .. وكان أهله أهل الكتاب .

عَن حُذَيفةَ قالَ :

« جاءَ العاقِبُ والسَّيِّدُ .. صاحبا نَجرانَ ..

« إلى رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« يُريدانِ أنْ يُلاعِناهُ ..

« فقالَ أحدُهمـــا لصاحبِهِ : لا تَفْعلْ .. فواللهِ لئنْ كان نبيّاً فلاعَناهُ لا نُفلحُ نحنُ ولا عَقِبُنا مِن بَعدِنا ..

« قالا : إنا نُعطيكَ ما سألتنا .. وابعثْ مَعنا رُجلاً أميناً ..

ولا تبعث معنا إلا أميناً ..

« فقال : لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق امين ..

« فاستشرف له أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« فقال : قم يا ابا عبيدة بن الجراح ..

« فلما قام .

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« هذا أمين هذه الامة . »

(جاء العاقب) واسمه عبد المسيح ..

(والسيد) واسمه الأيهم ..

« وذكر إبن سعد أن رسول الله .. ﷺ .. كتب إلى أهل نجران .. فخرج اليه وفدهم اربعة عشر رجلاً من اشرافهم .. فيهم العاقب .. وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم ..

« العاقب اميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه ..

« وأبو الحارث اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ..

« والسيد وهو صاحب رحالهم ..

« فدخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة .. وأردية مكفوفة بالحرير

فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق ..

« فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : دعوهم ..

« ثم أتوا النبي .. ﷺ .. فاعرض عنهم ولم يكلمهم ..

« فقال لهم عثمان : ذلك من أجل زيكم ..

« فانصرفوا يومهم .. ثم غدوا عليه بزي الرهبان ..

« فسلموا .. فردّ عليهم .. ودعاهم إلى الاسلام ..

« فابوا .. وكثر الكلام واللجاج ..

« وتلا عليهم القرآن ..

« وقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : إن انكرتم ما اقول لكم فهلم باهلكم ..

« فانصرفوا على ذلك ..

« يريدان ان يلاعناه » اي يباهلاه من الملاعنة وهي المباهلة .. والمباهلة أن يجتمع قوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالم ..

« إنّا نعطيك ما سألتنا » فصالحهم على الفي حلة في رجب .. والف في صفر .. أو قيمة ذلك من الاواق .. وعلى عارية ثلاثين درعاً .. وثلاثين بعيراً .. وثلاثين فرساً .. إن كان باليمن كيد ..

ولنجران وحاشيتهم جوار الله .. وذمة محمد النبي، ﷺ .. على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم غائبهم وشاهدهم وبيعهم .. لا يغير أسقف عن سقيفاه .. ولا راهب عن رهبانيته .. ولا واقف عن وقفانيته .. واشهد على ذلك شهوداً ..

« فرجعوا إلى بلادهم ..

« فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً .. حتى رجعا إلى النبي .. ﷺ .. فأسلما ..

« فاستشرف » ترقبوا . كل منهم يأمل أن يكون هو المبعوث اليهم

« وتوجه أبو عبيدة معهم فقبض مال الصلح ورجع . »

* * *

اقول :

هذه قصة وفد نجران .. التي انتهت ببعث أبي عبيدة معهم .. متوّجاً باغلى تاج يوضع على رأس عظيم من العظماء :

« لأبعَثنّ معكُمْ .. رُجلاً امِيناً .. حقّ أمين ..

« فاستشرَفَ لهُ اصحابُ رسولِ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم ..

« فقال : قُمْ يا أبا عُبَيدَةَ بنَ الجرّاحِ .

« فلمّـــا قامَ ..

« قال رسول اللهِ .. ﷺ :

« هذا ..

« أمينُ .

« هذهِ الأُمّةِ . » !!

هلْ قَتلَ ابو عبيدةَ ...

اباه المشرك ...

يومَ بدر ؟ !

ثم

كانت الغزوة العظمى .. غزوة بدْر الكبرى ..

وأخبارها مستفيضة مشهورة ..

وأبلى أبو عُبَيْدَة فيها بلاءً حسناً ..

فهو رجل شهد بدْراً !!

قال ابن هشام .. وهو يذكر « من حضر بدْراً من المسلمين » :

« ومن بني الحارث بن فهر ..

« ابو عبيدة بن الجراح ..

« فجميع من شهد بدراً من المهاجرين .. ثلاثة وثمانون رجلاً .. »

هذه واقعة معلومة .. إلا أن الواقعة الكبرى بالنسبة إلى أبي

عبيدة .. ليست هي شهوده غزوة بدر ..

وإنما موقفه العجيب من أبيه المشرك .. الذي جـاء في صفوف المشركين .. يقاتل المسلمين في عناد شديد !!

فما هو هذا الموقف .. وماذا كان من أبي عُبَيدَة ؟!

قـال تعالى :

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ

• يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ

• وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبنَاءَهُمْ أَوْ إخوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

• أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ

• وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنهُ

• وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهارُ

• خَالِدِينَ فِيهَا

• رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

• أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . ﴾

[المجادلة ٢٢]

﴿ لا تجدُ قوماً يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ ﴾ خطاب للنبي .. صلى الله عليه وسلم .. أو لكل أحد يصلح للخطاب ..

أي لا ينبغي أن يكون ذلك .. وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال .. مبالغة في النهي عنه .. والزجر عن ملابسته .. والتصلب في مجانبة أعداء الله تعالى ..

والمراد بموادة المحادّين موالاتهم ومظاهرتهم ..

و (مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ) ظاهر في الكافر .. وبعض الآثار ظاهر في شموله للفاسق .. والأخبار صريحة بالنهي عن موالاة الفاسقين كالمشركين ..

بل قال سفيان :

يرون أن الآية المذكورة نزلت فيمن يخالط السلطان ..

وفي حديث طويل أخرجه الطبراني ، والحاكم ، والترمذي ، عن واثلة بن الأسقع مرفوعاً :

« يقول الله تبارك وتعالى :

« وعزتي لا ينال رحمتي .. من لم يوال أوليائي .. ويعاد أعدائي . »

وأخرج أحمد ، وغيره ، عن البراء بن عازب ، مرفوعاً

« أوثق الإيمان .. الحبّ في الله .. والبغض في الله .

واخرج الديلمي ، من طريق الحسن ، عن معاذ قال :

« قال رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم :

« اللهم لا تجعل لفاجر – وفي رواية – ولا لفاسق عليّ يداً ولا نعمة .. فيودّه قلبي .. فإني وجدت فيما أوحيت إليّ

﴿ لا تجدُ قوْماً يُؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ ﴾ .

« ولَوْ كانُوا » أي من حادّ الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ..

« آباءَهمْ » أي الموادين ..

« أوْ أبناءَهمْ اوْ إخوانهمْ اوْ عشيرَتَهمْ »

فإن قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يحشر المرء فيه

مع من أحب .. ان يهجروا الجميع بالمرة ..

وليس المراد بمن ذكر خصوصهم .. وإنما المراد الاقارب مطلقاً ، وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا بالمعروف .. وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم .. وثلث بالإخوان لأنهم الناصرون لهم .. وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم والتناصر بهم ..

« اولئك » إشارة إلى الذين لا يوادونهم .. وإن كانوا أقرب الناس اليهم .. وامسهم رحماً بهم .. وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل ..

« كَتَبَ في قُلوبِهِمُ الإيمانَ » أي اثبته الله تعالى فيها ..

« وَأيدَهم » اي قوّاهم ..

« برُوحٍ منهُ » أي من عنده عز وجلّ .. والمراد بالروح نور القلب .. وهو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده .. تحصل به الطمانينة .. والعروج على معارج التحقيق ..

« ويُدخِلُهمْ » بيان لآثار رحمته تعالى الأخروية .. إثر بيان الطافه سبحانه الدنيوية ..

« جَنّاتٍ تَجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها » أبد الآبدين ..

« رَضِيَ اللهُ عَنهمْ » استئناف جار مجرى التعليل .. لما أفاض سبحانه عليهم من آثار رحمته عزّ وجلّ العاجلة والآجلة ..

« وَرَضُوا عَنْهُ » بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً ..

« اولئكَ حزْبُ اللهِ » تشريف لهم .. ببيان اختصاصهم به تعالى ..

« ألا إنّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمفلِحُونَ . »

بيان لاختصاصهم بسعادة الدارين ..

« والآية قيل :

« نزلت في أبي بكر .. رضي الله تعالى عنه ..

« اخرج ابن المنذر .. عن ابن جريج قال :

« حدثت أن أبا قحافة سبّ النبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم فصكه أبو بكر صكّة .. فسقط .. فذكر ذلك للنبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. فقال : أفعلت يا ابا بكر ؟ قال : نعم .. قال : لا تعد .. قال : والله لو كان السيف قريباً مني لضربته ـ وفي رواية ـ لقتلته .. فنزلت (لا تجدُ قوْماً) الآيات .

« وقيل :

« **في ابي عُبَيْدَة بن عبد الله بن الجرّاح ..**

« أخرج ابن ابي حاتم .. والطبراني .. وأبو نعيم في الحلية .. والبيهقي في سننه ..

« عن ابن عباس .. عن عبدالله بن شوذب قال :

« **جعل والد ابي عُبَيْدَة يتصدى له يوم بدْر ..**

« **وجعلَ ابو عُبَيدَة .. يحيد عنه ..**

« **فلمّا اكثر .. قصده ابو عبيدة .. فقتله ..**

« **فنزلت (لا تَجدُ) الخ ..**

« وفي الكشاف .. أن أبا عبيدة قتل أباه .. عبد الله بن الجراح .. يوم أُحُد ..

« **والحقّ انه قتله في بدْر ..**

« اخرج البخاريّ .. ومسلم .. عن أنس قال

« **كان – اي أبو عبيدة – قتل اباه .. وهو من جملة اسارى بدر .. بيده .. لما سمع منه في رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. ما يكره .. ونهاه .. فلم ينته ..**

« وقيل : نزلت فيه .. حيث قتل اباه ..

« وفي أبي بكر ..

« دعا ابنه يوم بدر إلى البراز .. وقال لرسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم : دعني اكون في الرعلة الاولى ـ وهي القطعة من الخيل ـ

« قال : متعنا بنفسك يا ابا بكر ما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري » ..

« وفي مصعب بن عمير .. قتل اخاه عبيد بن عمير يوم أحد ..

« وفي عُمر .. قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ..

« وفي عليّ .. كرّم الله تعالى وجهه .. وحمزة .. وعبيدة ابن الحرث .. قتلوا عتبة .. وشيبة .. ابني ربيعة .. والوليد ابن عتبة يوم بدر ..

« هذا ورتب بعض المفسرين :

﴿ ولَوْ كانوا آباءَهُمْ او ابناءَهُمْ او إخوانهُمْ او عشيرَتهُمْ ﴾ ..

« على قصة ابي عبيدة ..

« وأبي بكر ..

« ومصعب ..

« وعليّ ـ كرم الله تعالى وجهه ـ ومن معـــه ..

« وأياً ما كان .. فحُكم الآيات عـــام .. وإن نزلت في أناس مخصوصين .. كما لا يخفى .. والله تعالى اعلم . »

* * *

ثبت الآن أن أبا عُبيدَة .. قتل اباه .. عبدالله بن الجرّاح .. في غزوة بدْر ..

وها هنا سؤال خطير : كيف يقتل أبو عبيدة .. أباه .. وأبو عبيدة يعلم أن برّ الوالدين يمنع من ذلك ؟!

الجواب .. أن برّ الوالدين واجب على الأبناء .. ما كان الاباء غير محاربين لله ورسوله .. فإذا ما جاء أبوه محارباً لله ورسوله في غروة بدر .. مضاداً لله ورسوله .. يريد أن يستأصل هذا الدين من جذوره .. فإن برّ الوالدين هنا .. يسقط عن الأبناء .. ويحل محله قانون أعلى منه هو :

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليوْمِ الاخِر يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولوْ كانوا آباءَهُمْ أَوْ أَبنَـــاءَهمْ أو

إخوانهم أو عشيرتهم .. ﴾ !!

ذلك أن القانون الأعلى ينسخ القانون الأدنى ..

فالقانون الأدنى هو برّ الوالدين .. وهذه مصلحة خاصة ..

والقانون الأعلى . هو انتصار الاسلام .. وهذه مصلحة عامة .. توجب نسخ القانون الأدنى ..

ومن هنا أثنى الوحي الكريم .. على صنيع أبي عبيدة .. حين قتل أباه في غزوة بدر ..

« أولئِكَ كتَبَ في قلوبهمُ الإيمانَ

« وَأيَّدَهم بروحٍ منهُ

« ويُدخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تجري مِنْ تَحتِها الأنهارُ خَالدين فيها ..

« رَضِيَ اللهُ عنهمْ ورَضوا عنهُ ..

« أولئكَ حِزْبُ اللهِ ..

« ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المفلحُونَ . » !!

وهذه الأكاليل من الثناء .. استحقها كلها أبو عبيدة .. لأنه صنع ما لم يصنعه أحد ..

ابنٌ بارٌ بأبيه .. أحسنَ البرِّ ..

لمّا رأى أباه .. يضادّ ويحادّ .. الله ورسوله .. ويقاتل في صفوف المشركين .. مُصرّاً على كُفره وعناده ..

قتله .. لأنه عدوّ لله ورسوله ..

فأثبت أبو عُبيدَة بصنيعه ذاك .. أنه حقا وصِدْقا .. كما قال فيه .. رسول الله .. ﷺ :

« أمينا .. حقّ .. أمين » !!

ابو عبيدة ..

في غزوة ..

أُحد ؟!

نحن

في يوم السبت .. للنصف من شوال .. من السنة الثالثة من الهجرة ..

حيث كانت غزوة أحُد ..

التي انتصر فيها المسلمون .. ثم كانت الهزيمة حين عصى البعض أمر رسول الله .. ﷺ ..

فكيف سارت أحداث تلك الغزوة ؟!

لماذا كانت المعركة ؟

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع المنهزمون منهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره .

مشى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر .

فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا :

– يا معشر قريش ، إن محمداً قد جعل لكم عنده ثأراً ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منه ، ففعلوا .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ، وأصحاب العير بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشيُّ يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطىء بها فقال له :

– أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمد .. فأنت عتيق .

فخرجت قريش بجدّها وجدّها وحديدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة .

وخرجوا معهم بالنساء التماس الأنفة والغضب ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند ابنة عتبة .

وكانت هند كلما مرّت بوحشي أو مر بها قالت : وَيهاً أبا دسمة ، اشف واشتَف .

فأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة .

يستشير الشعب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فان رَأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان اقاموا اقاموا بشر مُقام وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها » . .

وكان رأي عبد الله بن أبي بن سَلُول مع رأي رسول الله ﷺ ، يكره الخروج .

وينزل على رأي الشعب !

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس درعه ، وذلك يوم

الجمعة حين فرغ من الصلاة .

فلما خرج عليهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم قالوا :

ـ يا رسول الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ؟ فان شئت فاقعد صلى الله عليك .

فقال رسول الله ﷺ :

« ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته[1] ان يضعها حتى يقاتل » ..

الخروج للمعركة

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه .

حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ ــ بــين المدينة وأُحُد ــ انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثُلُث الناس .

وقال : أطـاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل انفسنا ها هنـا أيها النـاس ؟!

....

(1) لأمته : درعه .

ومضى رسول الله . صلى الله عليه وسلم .. حـــتى نزل الشِّعْب من أُحُد في عَدْوة الوادي إلى الجبـــل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد .

وتعبّى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. للقتـال ، وهو في سبعمائة رجل ، وأمّرَ على الرماة عبدالله بن جبَير ، وهو معلم يومئذ بثيـــاب بيض ، والرماة خمسون رجلاً .

فقال : « انضح [1] الخيْلَ عنا بالنّبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا او علينا ، فاثْبُتْ مكانك ، لا نُؤتَيَنّ من قِبَلِك » .

وتعبّأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد قادوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

---

(١) انضح : ادفعهم عنا .

اللقـاء ..

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هندِ بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يَضرِبنَ بها خلف الرجال ، يُحرِّضنهم .

فقالت هند فيما تقول :

وَيهاً بني عبد الدار ، ويهاً حُمَاةَ الأدبارْ ، ضَرْباً بكُلِّ بَتَّارْ .

وتقول :

إن تُقبلوا نُعانِقْ ونفرشُ النَّمارق [1]
أو تُدْبِرُوا نُفارِق فِراق غيرِ وامِقْ [2]

وكان شعار أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

---

(١) النمارق ، جمع نمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة .
(٢) الوامق : المحب .

« اميت .. اميت » ...

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب .

مصرع حمزة !

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أبطالاً .

قال وحشي : والله إني لأنظر إلى حمزة يَهدُّ الناس بسيفه .. وهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثُنَّته ، حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغُلِب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات ، جئت ، فأخذت حربتي ثم تنحّيْتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره .

فلما قُتل مُصْعَبُ بن عُمَير أعطى رسول الله .. ﷺ .. اللواء عليّ بن أبي طالب .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فقتلوهم بالسيوف ، حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

فلما رأى رماة رسول الله ﷺ ، أن قد انكشف القوم ،

وانهزموا ، وأن المسلمين عكفوا على الغنائم ، تركوا أماكنهم ، وخلوا ظهور المسلمين للخيل ، فأتوا من خلفهم ، وصرخ صارخ :

ـ ألا إن محمداً قد قتل .

فرجع المسلمون ، ورجع عليهم المشركون .

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص .

خَلَصَ العدو إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. فرُمي بالحجارة ، حتى وقع لشقّه ، فأصيبت رَباعيته ، وشجّ في وجهه ، وجرحت شفته ، وجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم ، وهو يقول :

« كيف يُفلِح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ » .

فأنزل الله عز وجل في ذلك :

﴿ ليس لك من الأمر شيءٌ او يتوبَ عليهم أو يُعذّبَهُمْ فانهم ظالمون ﴾ ..

وقال رسول الله ﷺ ـ حين غشيه القوم ـ :

« من رجل يشري لنا نفسه ؟ » .

فقام خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ ، رجلا

ثم رجلاً .. يقتلون دونه .

ثم رجعت فئة من المسلمين ، فأزالوهم عنه .

المرأة تقاتل دون رسول الله !

قالت أمُّ عُمارة : خرجت أول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء .

فانتهيت إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهو في أصحابه ، والغلبة والنصر للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انحَزْت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقمت أباشر القتال ، وأذُبُّ عنه بالسيف ، وأرْمِي عن القوس ، حتى تَخلصتِ الجراح إليَّ .

قالت : لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ ، أقبل رجل يقول :

ـ دُلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا .

فاعترَضت له أنا ، ومُصعبُ بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع

رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة

(كان على عاتقها جرح اجوف له غور) .

فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعان .

اروع امثلة الفدائية

وتَرَّسَ دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل في ظهره ، وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كثرَ فيه النبل .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يناوله النبل ، وهو يقول :

« ارْمِ فداك ابي وامي » ..

ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟!

. وانتهى أنس بن النَّضْر إلى عمر بن الخطـاب ، وطلحـة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقـد القوْا بأيديهم فقال ما يجلسكم ؟

قالوا : قتل رسول الله ﷺ .

قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ فموتوا على ما مات عليـــه رسول الله ﷺ .

ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

عن أنس بن مالك قال :

ــ لقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه !!

هذا رسول الله

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ﷺ كعب بن مالك .

قال كعب :

عَرَفتُ عينيه الشريفتين تزهرّان[1] من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي :

ــ يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فأشار إليّ رسول الله ﷺ أن :

« انصتْ » .

فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم

(١) تضيئان .

نحو الشِّعْب : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطـاب ، وعلي ابن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، ورهطٌ من المسلمين .

اين محمد ؟

فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أُبَيُّ بن خلف ، وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجوْتَ .

فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« دَعُوهُ » .

فلمـــا دنا منه ، تناول رسول الله ﷺ الحَرْبَةَ ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة مال منها عن فرسه مراراً .

فمات عدو الله بسَرِف ، وهم قافلون به إلى مكة .

فبينا رسول الله ﷺ بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عاليةٌ من قريش الجبل .

كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

فقال رسول الله ﷺ :

« اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » ..

فقاتل عمر بن الخطاب ، ورهط معه من المهـــاجرين ، حتى اهبطوهم من الجبل .

وصلى النبي ﷺ الظهر يوم أُحد قـــاعداً ، من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

هند تمثل بحمزة ؟

ووقعت هند بنت ُعتبة ، والنسوة اللاتي معها ، ُيمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ : يقطعن الاذان والأنُـف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خلاخيل وقلائد !

وأعطت هند خلاخيلها ، وقلائدها ، وقِرَطتها وحشياً ــ قاتل حمزة ــ وشقت عن كبد حمزة فمضغتها ، فلم تستطع أن تبلعها ، فلفظتها !!

ثم علت على صخرة ُمشرفة فصرخت باعلى صوتها ، فقالتْ :

شَفَيْتُ نفسي وقضيتُ نذري
شَفَيْتَ وحشيُّ غليل صَدري
فَشُكْرُ وحشيٍّ عليَّ عُمري
حتى تَرِمَّ[1] أعظُمي في قبري

انتهاء المعركة

وانصرف أبو سفيان ومن معه ونادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ..

فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه :

« قلْ نعم .. هو بيننا وبينك موعد » ..

(١) ترم : تتفتت .

لن اصاب بمثلك ابداً ..

وخرج رسول الله ﷺ ، يلتمس حمزة بن عبـد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقِرَ بطنه عن كبده ومثـل به فقطع أنفه وأذناه .

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال :

« لن اصاب بمثلك ابداً ، مـا وقفت مَوقِفاً قـطّ اغيظ إليّ من هذا » ..

ادفنوهم حيث صرعوا

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المـدينة ، فدفنوهم بها .

ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال :

« ادفنوهم حيث صُرِعُوا » ..

وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القـــبر الواحد !

فما فعل رسول الله ؟

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم باحـــد .

فلما نُعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟

قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .

قالت : أرونيه حتى أنظر اليه .

فاشير لها اليه .

حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك صغيرة !

لم تفكر في قتلاها ، وإنما فكرت في صاحب الرسالة !

وهكذا كانوا .. ومن هنـــا خلدوا في الأرض ، وخلدوا في

السماء ..

ارهاب العدو

وكان يوم أحُد يوم السبت للنصف من شوال ، من السنة الثالثة من الهجرة .

فلما كان الغد من يوم الأحـــد ، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا حضر يومنا بالأمس .

وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبـــاً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

فخرج رسول الله ﷺ ، حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ، ثم رجع إلى المدينـة .

هـذا وجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ، ﷺ ، من المهاجرين والأنصار في غزوة أحد ، سبعون رجلاً .

وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين اثنـــان وعشرون رجلاً ..

*

والآن : أين أبو عبيدة بن الجراح .. في أحـــداث تلك الغزوة ؟!

الجواب .. شهد احداثها من اولها إلى آخرهـــا ..

شهد النصر ..

ثم شهد الهزيمة ..

وكان له مشهد خـــالد .. حين تأزّمت الأمور .. وجُرح رسول الله .. ﷺ ..

فما هو هذا المشهد ؟!

قال ابن كثير في تفسيره

« قال أبو داود الطيالسي :

« حدثنا ابن المبارك .. عن إسحاق بن يحيى بن طلحـــة

ابن عبيد الله ..

« اخبرني عيسى بن طلحـة ..

« عن أم المؤمنين .. رضي الله عنها .. قالت :

« كان أبو بكر اذا ذكر يوم أُحُـد قال :

« ذاك يوم كله لطلحة ..

« ثم انشأ يحدث قال :

« كنت أول من فاء يوم أُحُـد ..

« فرأيت رجلاً يقـــاتل مع رسول الله .. ﷺ .. دونه .. وأراه ..

« قال : حمية ..

« فقلت : كن طلحة .. حيث فاتني مـــا فاتني ..

« فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إلى .. وبيني وبـــين المشركين رجل لا أعرفه .. وانا اقرب إلى رسول الله .. ﷺ .. منـــه ..

« **وهو يخطف المشي خطفاً .. لا اعرفه ..**

« **فاذا هو .. أبو عُبَيْدَةَ بن الجرّاح ..**

« فانتهيت إلى رسول الله .. ﷺ .. وقد كسرت رباعيته .. وشج في وجهه ..

« وقد دخل في وجنته حلقتان .. من حلق المغفر ..

« فقال رسول الله ، ﷺ :

« عليكما صاحبكما » ..

يريد طلحة ..

« وقد نزف ..

« فلم نلتفت إلى قوله ..

« قال : وذهبت لأنزع ذلك من وجهه ..

« فقال ابو عُبيدة :

« اقسمت عليك بحقي .. لما تركتني ؟

« فتركته ..

« فكره ان يتناولها بيده .. فيؤذي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« فازم عليها بفيه .. فاستخرج إحدى الحلقتين ..

« ووقعت ثنيته مع الحلقة ..

« وذهبت لأصنع ما صنع ..

« فقال : اقسمت عليك بحقي لما تركتني ؟

« قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الاولى ..

« ووقعت ثنيته الاخرى .. مع الحلقة ..

« فكان أبو عُبَيْدة .. من احسن الناس هتماً ..

« فاصلحنا من شأن رسول الله ، ﷺ ..

« ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار .. فإذا به بضع وسبعون أو اقل او اكثر .. من طعنة ورمية وضربة ..

« وإذا قد قطعت أصبعه .. فاصلحنا من شانه . » !!

★

« ورواه الهيثم بن كليب .. والطبراني ..

« وعند الهيثم : قال أبو عُبَيْدَة :

انشدك الله يا أبا بكر .. ألا تركتني ؟.

« فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه .. فجعل ينضنضه .. كراهية أن يؤذي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« ثم استل السهم بفيه .. فبدرت ثنية ابي عبيدة .. » !!

*

وفي رواية ابن هشام :

« عن عائشة .. عن أبي بكر الصديق :

« أن أبا عُبيدة بن الجرّاح ..

« نزع إحـــدى الحلقتين .. من وجه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« فسقطت ثنيتـه ..

« ثم نزع الأخرى .. فسقطت ثنيتـه الأخرى ..

« فكان ساقط الثنيتين . » !!

*

اقول .. هذا هو امين الأمّة .. حقّ . أمينٍ !!

وأي امانة هي اعظم .. من أمـــانة رجل .. يُقْسِم على أبي

بكر .. ان يتركه .. ليقوم هو بـــنزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله .. ﷺ ..

ثم هو يكره أن ينزعهما بيـده .. فيؤذي .. رسول اللـه .. ﷺ !!

فيباشر ذلك بفمه ..

فتقع ثنيته مع الحلقة الأولى ..

ثم يباشر نزع الأخرى بفمه .. فتقع ثنيته الأخرى !!

وهو سعيد .. أتمّ السعادة !!

وما قيمة ثنيتين تسقطان من أسنانه .. في سبيـل ان لا يمس رسول الله .. ﷺ .. شيء يؤذيه ؟!

ذلكم أبو عُبيدة !!

وذلكم مشهد من مشاهده في غزوة أُحُـد !!

« ولِكلّ أمّة أمينٌ ..

« وامينُ هذهِ الامّةِ ..

« أبو عُبَيدَة بنُ الجرّاح » ..

ابو عبيدة ...

يوم ...

فتح مكة ؟!

كان

فتح مكة ..

لعشر ليال بقين من شهر رمضان ..

سنة ثمان من الهجرة ..

فكيف كان ذلك الفتح الأكبر ؟

وما هو دور أبي عبيدة .. يوم فتح مكة ؟

اسباب فتح مكة

ثم اقام رسول الله ﷺ ، بعد بعثه إلى مؤتة جمادي الآخرة ورجباً .

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ ، وبين قريش ، كان فيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب ان يدخل في عقد رسول الله ، ﷺ ، وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم ، فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو بكر من خزاعة ، وارادوا أن يصيبوا منهم ثأراً .

واعتدت بنو بكر على خزاعة وقاتلتها ، وقاتل من قريش من قاتل مع بني بكر !

ثم خرج نفر من خُزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، المدينة .

فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة .

ابو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فدخل على ابنته ام حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ ، طوته عنه !

فقال : يا بنية ، ما أدري ارغبت بي عن هذا الفراش ، ام رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وأنت رجل مشرك نجس ، فلم احب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ !

قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ .. فكلمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه ان يكلم رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلمه ، فقال :

ـ أأنا أشفع لكم إلى رسول الله .. ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذّرّ لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله .. ﷺ .. وعندها حسن بن علي يدب بين يديها فقال :

ـ يا علي إنك امس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !

فقال : ويحك يا أبا سفيان !! والله لقد عزم رسول الله ﷺ ، على أمر ، ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بني ذاك ان يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله .. ﷺ .

قال : يا ابا الحسن ، إني ارى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني .

قال : والله ما اعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجرْ بين الناس ، ثم الحق بارضك .

قال : أوَ ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟

قال : لا والله ما أظنه ، ولكني لا اجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني اَجرْت بين النـاس .

ثم ركب بعيره ، فـانطلق .

ولما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟

قال : جئت محمداً ، فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئا ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم اجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم اتيت علياً فوجدته الين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا ؟

قـالوا : وبم امرك ؟

قال : امرني ان اجير بين الناس ، ففعلت .

قالوا : فهل اجاز ذلك محمد ؟

قال : لا .

قالوا : ويلك !. والله إن زاد الرجل على ان لعب بك ، فمـــا

يغنى عنك ما قلت ؟

قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

الامر بالتعبئة

وأمر رسول الله ، ﷺ .. الناس بالتعبئة ، وأمر اهله أن يجهّزوه .

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بنية أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟

قالت : نعم ، فتجهّز .

قال : فأين تُرَينه يريد ؟

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. أعلم الناس أنه سائر إلى مكة .

وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال :

« اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .

فتجهز الناس ..

كتاب الى قريش

لما اجمع رسول الله .. ﷺ .. المسير إلى مكة ، كتب حاطب ابن ابي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير اليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها اجراً ، على ان تبلغه قريشاً .

فجعلته في رأسها ..

ثم فتلت عليه قرونها .

ثم خرجت به .

وأتى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما صنع حاطب .

فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فقال :

« ادركا امرأة قد كتب معهـــا حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش ، يحذرهم ما قد اجمعنا له في امرهم » ..

فخرجا حتى ادركاهـا .. فـاستنزلاها ، فالتمسا في رحلهـا فلم يجدا شيئاً .

فقال لها علي بن أبي طالب :

ـ إني احلف بالله ما كذب رسول الله .. ﷺ .. ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب او لنكشفنك .

فلما رأت الجد منه قالت : اعرض

فاعرَضَ ، فحلّتْ قرون رأسها ، فاستخرَجتْ الكتاب منها ، فدفعته اليه .

فأتى به رسول الله ﷺ .

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً ، فقال :

« يا حاطب ما حملك على هذا ؟ »

فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، مـا غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لي في القوم من اصل ولا عشيرة ، وكان لي بين اظهرهم ولد واهـل ، فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ،

فإن الرجل قد نافق .

فقال رسول الله ﷺ :

« وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطّلع على اصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله تعالى في حاطب :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تُلقون اليهم بالمودة ﴾ .

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبارُهم كلثوم بن حصين .

وخرج لعشر مضين من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .

فصام رسول الله ، ﷺ ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكدَيْدِ أفطر .

ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .

وخرج مع رسول الله ، ﷺ ، المهاجرون والانصار ، فلم يتخلف منهم أحد .

قصة اسلام العباس بن عبد المطلب

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ، ﷺ ، ببعض الطريق ، لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ، ﷺ عنه راض .

وهكذا خرج العباس مهاجراً إلى رسول الله ﷺ ، فوجده في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة اسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر الظهران .. قال العباس بن عبد المطلب :

فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله .. صلى الله

عليه وسلم .. مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلست على بغلة رسول الله ، ﷺ ، البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك .

فقلت : لعلي أجد بعض الحطابة ، او صاحب لبن ، أو ذا حاجة يـــأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله ، ﷺ ، ليخرجوا اليه فيستأمنوه ، قبل ان يدخلها عليهم عنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان ، وبُدَيل بن ورقاء وهما يتراجعان .

وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ؟!

فيقول بديل : هذه والله خزاعة ، حمستها الحرب .

فيقول أبو سفيان : خزاعة أذل واقل ، من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته .

فقلت : يا أبا حنظلة ؟

فعرف صوتي ، فقال : ابو الفضل ؟

قلت : نعم !

قال : مالك فداك ابي وأمي ؟

قلت : ويحك يا ابا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله ؟

قال : فما الحيلة فـداك أبي وأمي ؟

قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فـاركب في عجز هـذه البغلة حتى آتي بك رسول الله .. صلى الله عليـه وسلم .. فاستأمنه لك .

فركب خلفي ورجع صاحباه .

فجئت به ، كلما مررت بنار من المسلمين..

قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ ، وانا عليها قالوا : عمّ رسول صلى الله عليه وسلم .. على بغلتـه .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقال : من هذا ؟! وقـام إليّ .

فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة .

قال : أبو سفيان عدو الله ؟! الحمد لله الذي أمكن منك ، بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة ، فسبقته بما يسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

فاقتحمت عن البغلة ..

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ودخل عليه عمر .

فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد امكن الله منه ، بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد اجرته .

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ..

فقال رسول الله ﷺ :

« اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فاذا اصبحت فأتني به » .

فذهبت به إلى خيمتي ، فبات عندي .

فلما أصبح غدَوْت به إلى رسول الله ، ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال :

« ويحك يا ابا سفيان ، الم يأن لك ان تعلم انه لا إله إلا الله ؟ » .

قال : بابي انت وأمي ، ما احلمك واكرمك واوصلك !! والله

لقد ظننت ان لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عني شيئاً بعد ..

قال : « ويحك يا ابا سفيان !! الم يان لك ان تعلم انني رسول الله ؟ »

قال : بأبي انت وأمي ، ما احلمك واكرمك واوصلك !! اما هذه والله فإن في النفس منها حتى الان شيئاً .

فقال له العباس :

« ويحك اسلم ، واشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، قبل ان تضرب عنقك » .

فشهد شهادة الحق ، فاسلم .

قال العباس :

قلت : يا رسول الله ، إن ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم .. من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

عرض الجيش

فلما ذهب لينصرف ..

قال رسول الله ﷺ :

« يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي ، عند خَطْم الجبل[1] ، حتى تمر به جنود الله فيراها » .

قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله ﷺ ، أن احبسه .

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟!

فأقول : سليم .

فيقول : مالي ولسليم ؟

(١) انف الجبل ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق .

ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟

فأقول : مزينة .

فيقول : مالي ولمزينة ؟

حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسالني عنها ، فإذا اخبرته بهم قال : مالي ولبني فلان .

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء[1] .

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

فيهـا المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم ، لا يُرَى منهم إلا الحدَق من الحديد .

فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟

قلت : هذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين والأنصار .

قال : ما لأحد بهؤلاء قبلٌ ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك أبن اخيك الغداة عظيماً .

---

(١) كان ابو عبيدة احد رجال تلك الكتيبة الخالدة .

قلت : يا ابا سفيان إنها النُّبوَّة .

قال : فنعم إذن .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا جاءهم ، صرخ باعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

فقامت اليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ..

فقالت : اقتلوا الحميت[1] الدسم الأحمس ، قبح من طليعة[2] قوم !!

قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ! فإنه قد جاءكم ما لا قبل

(١) الحميت : زق السمن . والدسم : الكثير الودك . والاحمس : الشديد اللحم – تريد تشبيهه به لضخامته وسمنه .

(٢) طليعة القوم : الذي يتقدمهم ، او يحرسهم .

لكم به . فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟!

قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن .

فتفرق النـــاس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوىً ، وقف على راحلته متعمماً ، بنصف بردة حمراء ، وإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما اكرمه الله به من الفتح .

حتى إن عثنونه[1] ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحْل !

وهكذا كان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، لم يدخـــل

---

(١) ذقنه .

مكة دخول الجبارين المتكبرين ، وإنما دخلها دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعاً .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدىً ، وكان الزبير على المجنّبة اليسرى .

وأمر سعد بن عُبادة ان يدخل في بعض الناس من كداء .

وقالوا إن سعداً ـ حين وجه داخلا ـ قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة .

فسمعها رجل من المهاجرين فقال :

ـ يا رسول الله .. اسمعْ ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن

تكون له في قريش صَوْلة .

فقـــال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لعلي بن أبي طـالب :

« ادْرِكْـهُ فخذ الراية منه ، فكن انت الذي تدخُل بها » .

وأمر رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. خالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة في بعض الناس .

واقبل ابو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، يَنْصَبُّ لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودخـــل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة وضرِبَتْ له هناك قبّتهُ .

وناوش نفر قليل من المشركين ، وناوشهم خـالد بن الوليد .

وأصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عشر رجـلاً ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قد عهدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقـــاتلوا إلا من قاتلهم .

إلا أنه قد عهد في نفر سماهم ، أمر بقتلهم ، وإن وُجدُوا تحت

استار الكعبة .

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، فلما قضى طوافه وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في المسجد ..

فقال :

« لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ..

« ألا كل مأثرةٍ او دم او مال ُيدّعى ، فهو تحت قدمي هاتين ..

« إلا سدَانة البيت وسقاية الحاج ..

« الا وقتيل الخطأ شِبْهِ العمد بالسّوْط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الابل ، اربعون منها في بطونها اولادها .

« يا معشر قريش ، وإن الله قد اذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناسُ من آدم ، وآدم من تراب . »

ثم تلا هذه الآية :

﴿ يا ايها الناسُ إنا خلقناكم مِنْ ذكرٍ وانثى ﴾ ..

الآية كلها .

ثم قال :

« يا معشر قريشٍ ، ما تَرَوْن اني فاعلٌ فيكم ؟ »

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن اخ كريم .

قال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء » .

هاك مفتاحك يا عثمان

ثم جلس رسول الله .. صلى الله عليه وسلم في المسجد .

فقام اليه علي بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« اين عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعي له .

فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

رووا أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصوّراً ، في يده الأزلام ، يستقسم بها !

فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ ما شأن إبراهيم والأزلام ؟

﴿ ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ ..

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال :

دخل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول :

« جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » ..

[اخرجه البخاري]

وفي رواية مسلم قال :

دخل رسول الله .. ﷺ . يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلثمائة صنم ، فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مر عليها كلها .

وهكذا طهر رسول الله .. ﷺ .. البيت من تلك النجاسات ، وتلك الخرافات التي جعلتها قريش وغيرها ببيت الله الحرام .

ان الله حرّم مكة

فلمــــا كان من الغد يوم الفتح ، اعتدت خُزاعةُ على رجل من هُذيـل ، فقتـلوه وهو مشرك .

فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال :

« يا أيهــــا الناس ، إن الله حرَّمَ مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرامٌ من حرامٍ إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد[1] فيهــــا شجراً ..

« لم تُحلَلْ لأحد كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحدٍ يكون بعـدي ، ولم تحلَلْ لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ، ألا ثُمّ قد رجعت كحُرْمتها بالأمس ..

« فليبلّغ الشاهِدُ منكم الغائب ، فمن قال لكم إن رسول الله ﷺ

---

(١) يعضد : يقطع

قاتل فيها ، فقولوا إن الله قد أحلّها لرسوله ، ولم يُحلِلْها لكم ، يا معشرَ خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل .. » .

ماذا قلتم ؟

ثم إن النبي ﷺ ـ حين افتتح مكة ودخلها ـ قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار .

فقالوا فيما بينهم :

ـ أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إذا فتح الله عليه أرضه وبلده ، يقيم بها ؟

فلما فرغ من دعائه .. قال :

« **ماذا قلتم ؟** » ..

قالوا : لا شيء يا رسول الله .

فلم يزل بهم حتى أخبروه ..

فقال النبي ﷺ :

« معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » ..

سرايا تدعو الى الله

وقد بعث رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم .. فيما حول مكة السرايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال .

وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً .

فوطىء بني جذيمة ..

فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد اسلموا .

ووضع الناس السلاح لقول خالد .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم !

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ،

ثم قـــال :

« اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » ..

اللهم اني ابرأ اليك

ثم انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ ، فاخـبره الخـــبر .

ثم دعـــا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. علي بن أبي طالب فقال :

« يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في امرهم ، واجعل امر الجاهلية تحت قدميك » ..

فخرج علي حتى جاءهم ومعه مـال قد بعث به رسول الله .. ﷺ ..

فاعطاهم التعويضات عما اصابهم فوق ما يطلبون .

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فاخبره الخبر ، فقـــال :

« اصبت واحسنت » ..

ثم قام رسول الله ﷺ ، فاستقبل القبلة ، قـائماً ، شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه ، يقول :

« اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » ..

ثلاث مرات .

خالد يهدم العُزّى

ثم بعث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم خـالد بن الوليد إلى العُزّى .

وكانت بيتاً يعظمه قريش وكنانة ومضر كلها .

فلمـا انتهى اليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

كان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

* * *

أين أبو عبيدة في ذلك الفتح الأكبر ؟

لقد نال فيه شرَفين ..

الشرف الأول .. انه كان احد الأبطال العظماء الذين يحفون برسول الله .. ﷺ .. في الكتيبة الخضراء !!

تلك الكتيبة التي يقودها سيد الأولين والآخرين .. صلى الله عليـه وسلم ..

« حتى مرّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في كتيبته الخضراء ..

« وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها ..

« فيها المهاجرون والأنصار .. رضي الله عنهم .. لا يُرى منهم إلا الحَدَق من الحديد .. » !!

ما هذا ؟!

هذا مشهد سوف يبقي مشهداً ليس كمِثْلِه مشهد !!

رسول الله ؟؟!!

أحبّ الخَلْق إلى الله !!

ارقى انسان خلقه الله !!

أعلى .. وأغلى .. وارفع .. وأثمن هدية أهداها الله إلى البشرية !!

ذلك النبيّ .. العظيم الكريم .. على رأس تلك الكتيبة ..

هذا وحده يكفي ليرفع تلك الكتيبة .. فوق كل كتيبة .. كانت أو سوف تكون ..

إلا أنّ الله زادها شرفاً .. فجعل جنودها خير أجناد الأرض .. المهاجرين والأنصار !!

فانظر .. هل ترى العين أبهج ولا اجمل من ذلك المشهد ؟!

وكان أبو عبيدة .. أحد هؤلاء العظماء ..

وترى المهاجرين والأنصار .. حافّين .. من حول رسول الله .. ﷺ ..

ومن بينهم أبو عبيدة .. أمين هذه الأمة !!

لو لم يكن في حياة أبي عُبيْدَة إلا هذا المشهد لكان حسبه شرفاً وفخْراً .

لكن رسول الله .. ﷺ .. زاده شرَفاً على شرف .. فكيف كان ذلك ؟!

« وقالوا إن رسول الله .. ﷺ .. حين فرّق جيشه من ذي طوى ..

« أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدًى .. وكان الزبير على المجنّبَة اليسرى ..

« وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء ..

« وأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. خالد بن الوليد .. فدخل من أسفل مكة .. في بعض الناس ..

« وأقبل ابو عبَيدَة بن الجراح .. بالصف من المسلمين .. يَنْصَبُّ لمكة بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« ودخل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. من أذاخر .. حتى نزل بأعلى مكة .. وضرَبتْ له هناك قبّتهُ .. » !!

تـــامّـل : وأقبل ابو عبيدة بن الجراح .. بالصف من المسلمين ؟!

أبو عبيدة قائد لأغلب الجيش .. الذي كان عدده كله عشرة آلاف ..

فلو فرضنا أنّ كلاًّ من الزبير .. وسعد بن عبادة .. وخـالد ابن الوليد .. كان يقود الفاً من الصحابة .. كان مجموع الذين معهم ثلاثة آلاف ـ مَثَلاً ـ

يبقى من الجيش ـ الذي هو خير جيش ـ سبعة آلاف ..

هؤلاء كان يقودهم امين الأمّة .. ابو عبيدة بن الجرّاح ..

بـــين يَدَيْ مَن ؟!

بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم !!

« واقبل ابو عُبيدة بن الجرّاحِ ..

« بالصف من المسلمين ..

« يَنْصُبُّ لمكة ..

« بين يدي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. » !!

ذلكم أبو عُبَيْدَة !!

رضي الله عنه !!

ابو عبيدة ...

امين على ...

أبي بكر وعمر ؟ !

قال ابن الاثير :

« ودخلت سنة ثمان ..

« ذكر غزوة ذات السلاسل ..

« وفيها أرسل رسول اللهِ .. ﷺ .. عمرو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذْرة .. يدعو الناس إلى الاسلام ..

« وكانت أمه من بَلِيّ .. فتألّفهم رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. بذلك

« فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل .. وبه سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل ..

« فلمّا كان به خاف .. فبعث إلى النبي .. ﷺ .. يستمدّه ..

« فبعث اليه رسول الله .. ﷺ ..

« أبا عُبيدَةَ بن الجرّاح ..

« في المهـــاجرين الأولين ..

« **فيهم ابو بكر وعُمر ..**

« وقال لأبي عبيدة حين وجّهه : لا تختلفا ..

« فخرج أبو عُبَيْدَة .. فلمّا قدم عليه قال عمرو : إنما جئت مدداً إليّ ..

« **فقال له أبو عُبَيْدَة :**

« **يا عمرو .. إنّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قال : لا تختلفا ..**

« **فان عصيتني اطعتُك ..**

« **قال : فأنا امير عليك ..**

« **قال فدونك ..**

« فصلّى عمرو بالناس .. » !!

★

ها هنا وقفة خطيرة .. ذات دلالات خطيرة ..

بعث رسول الله .. ﷺ .. مَدَداً إلى عمرو .. أبا عبيدة .. في المهاجرين الأولين .. فيهم أبو بكر وعُمر ..

فما معنى هذا ؟!

معناه أنّ أبا عبيدة أهلٌ أن يكون اميراً على صفوة المهاجرين الأولين .. الذين هم خير الصحابة ..

ويكفي أن ابا بكر وعُمر .. وهُما مَا هُما .. كانا في هؤلاء الذين يقودهم أبو عبيدة ..

ولكنّ عَمرو نازع أبا عبيدة رغم ذلك وأصرّ على الامارة !!

فماذا كان من امين الأمة ؟!

كان منه شيء عجاب ..

« **فان عصيتني اطعتُك** » !!

ها هنا نفهم شيئاً من أسرار شخصية أمين الأمة !!

عمرو حريص على الامـــارة .. حتى ولو كان أميراً على أبي بكر وعُمر وأبي عبيدة !!

وما كان له أن يتقدم عليهم !!

وأبو عبيدة غير حريص على الامارة .. حتى ولو كان الامـير

عليه .. دونه سابقة وفضلاً !!

فماذا نسمي تلك الصفة العُليا ؟!

لا تستطيع إلا أن تقول : إنه أمين الأمة !!

ثم انظر إلى الجمال المكنون من شخصية أبي عبيدة ..

يقول له عمرو : فأنا امير عليك ..

فيقول العملاق الأمين : فدونك !!

ُخذها يا عمرو .. وُكن اميراً .. واحمل الامارة .. فما جئنا لنكون أمراء .. ولكن لننصر الله ورسوله !!

وكان اعجب ما في المشهد :

« فصلّى عمرو بالنّاس » ؟!!

عمرو .. الذي اسلم منذ أيام معدودة .. يصلي بعمالقة الاسلام .. المهاجرين الأوّلين ؟!

إنه الاسلام .. سوّى بين الجميع !!

أبو عُبيدَة .. أمير ..

على ثلاثمائة من المهاجرين .. والانصار ؟!

« وفيها ـ اي سنة ثمان ـ كانت غزوة الخَبَط ..

« **واميرهم ابو عبيدة بن الجرّاح ..**

« **في ثلاثمائة من المهاجرين والانصار ..**

« وكانت في رجب ..

« وزوّدهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. جرابــاً من تمـر ..

« فكان ابو عبيــدة يقبض لهم قبضة .. ثمّ تمرة تمرة ..

« فكان أحدهم يلوكها .. ويشرب عليها المـاء ..

« فنفد ما في الجراب ..

« فاكلوا الخَبَط .. وجاعوا جوعاً شديداً ..

« فنحر لهم قيس بن سعد بن عُبادة تسع جزائر فـأكلوها ..

« فنهاه أبو عبيدة .. فانتهىَ ..

« ثم إنّ البحر القى اليهم حوتاً ميتاً .. فـاكلوا منهـا حتى شبعوا ..

« ونصب أبو عبيدة ضلعـــاً من اضلاعه .. فيمرّ الراكب تحتــــه ..

« فلمّــا قـدموا المدينة ذكروا ذلك للنبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. فقـال :

« كلوا .. رزقاً اخرجه الله لكم ..

« وأكل منه رسول الله .. ﷺ ..

« وذكروا صنيع قيس بن سعد ..

« فقال : إنّ الجود من شيمة اهل ذلك البيت . »

*

مـــاذا نستنبط من هـذه الأقصوصة .. اقصوصة غزوة الخَبَط ؟!

أنّ ابا عبيدة مرشح للإمارة من رسول الله .. ﷺ .. اكثر من مرّة ..

ها هنا .. وهنالك .. في القصة السابقة .. حين ذهب مَدَداً لعمرو في غزوة ذات السلاسل ..

ومن قبل .. فيا هو اعظم من ذلك واكبر ..

كما شهدنا في الفصل السابق .. حين اقبل أبو عبيدة على رأس اغلبية الجيش .. ينصبّ بين يدي رسول الله .. ﷺ .. يوم فتح مكة ..

ما سعى اليها .. ولكن رفعه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. اليها .. إشارة إلى الصفة الأصلية من تكوينه .. صفة الأمانة !!

وسوف ترى في الفصل القادم .. ما هو أعجب ..

فما هو هذا الأعجب ؟!

عُرِضَتْ عليه ..

الخلافة ..

فأَبَى ؟ !

في

هذا الفصل .. سوف ترى امراً عَجَباً !!

رجل يُعرض عليه أعظم منصب في الدولة ..

يُعرض عليـــه أن يكون هو الخليفة بعد رسول اللهِ .. صلى الله عليـه وسلم ..

ويرشحه لذلك .. ابو بكر .. وما أدراك مـا أبو بكر !!

فيابى !!

واليك تطور الأحداث :.

نحن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .

فبينا الناس على ذلك ، ابتدىء رسول الله .. ﷺ .. بشكواه ، الذي قبضه الله فيه ، في ليال بقين من صفر .

فكان اول مـــا ابتدىء به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع

الغرْقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى اهله .

فلما اصبح ابتُدِىءَ بوجعه من يومـه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

عن أبي مَوَيهِبَةَ مولى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قـال :

ـ بعثني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. من جوف الليل ، فقال :

« يا أبا مويهبة ، اني قد امرت ان استغفر لاهل هذا البقيع ، فانطلق معي » ..

فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

« السلام عليكم يا اهل المقابر ، ليَهْنِىءْ لكم ما اصبحتم فيه ، مما اصبح الناسُ فيه ، اقبلت الفتنُ كقطع الليل المظلم ، يتبع آخِرُها اولَها ، الآخِرَةُ شَرٌ من الاولى » .

ثم اقبل عليّ فقـــال :

« يا ابا مويهبة ، إني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذالك وبين لقاء ربي والجنة » .

فقلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنـة .

قال : « لا ، والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقـــاء ربي والجنة » .

ثم استغفر لأهل البقيـع ..

ثم انصرف .

فبدأ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مرضه الذي قبضه الله فيـــه .

وارأساه

عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :

ـ رجع رسول الله ، ﷺ ، من البقيـع ، فوجـدني وانا أجد

ُصداعاً في رأسي ، وانا أقول : وارأساه .

فقال . « بل انا والله يا عائشةُ وارأساه » .

قالت : ثم قـــال :

« وما ضرك لو ُمتّ قبلي ، فقمتُ عليك وكفّنتكِ وصليت عليك ودفنتك ؟ » .

قالت : قلت : والله لكاني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فاعْرّست فيه ببعض نسائك !

فتبسم رسول الله ، ﷺ ..

وتتامَّ عليه مرضه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذِنّ له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت :

ــ فخرج رسول الله ، ﷺ ، يمشي بين رجلين من اهـــله ،

أحدهما الفضل بن عباس، ورجل آخر[1]، عـــاصباً رأسه، تخط قدماه، حتى دخل بيتي.

ثم غُمِرَ رسول الله، ﷺ، واشتد به وجعه، فقال:

« هَرِيقُوا عَلَيَّ سبع قربٍ من آبار شتى، حتى اخرُجَ الى الناس، فاعْهَدَ اليهم ».

فأقعدناه في مِخْضَبٍ لحفصة بنت عمر، ثم صببنا الماء حتى طفق يقول:

« حَسْبُكم حسبكم »..

ينعي نفسه

وخرج رسول الله .. ﷺ .. عـــاصباً رأسه، حتى جلس على المنبر.

---

(١) هو علي بن ابي طالب.

ثم كان اول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحـــاب أُحُدٍ ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم .

ثم قال :

« إن عبداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » .

ففهمها أبو بكر ، وعرف ان نفسه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وابنائنا .

فقال رسول الله ، ﷺ :

على رسلك يا ابا بكر ..

ثم قال :

« انظروا هذه الأبواب اللافظـة[1] في المسجد فسدوها ، إلا بيت ابي بكر ، فاني لا اعلم احداً ، كان افضل في الصحبة عندي يداً منه » ..

ويروى ان رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم ، قال يومئذ

...

(١) اللافظة : النافذة اليه .

في كلامه هذا :

« فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلا ، لاتخذتُ ابا بكر خليلا ، ولكن صحبةٌ ، وإخاءُ إيمانٍ ، حتى يجمع الله بيننا عنده » .

انفذوا بعث اسامة

ثم إن رسول الله ، ﷺ .. استبطأ الناس في بعث اسامة ، وهو في مرضه .

فخرج عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .

وقد كان الناس قالوا في إمرة اسامة : أمّر غلاماً حدثاً ، على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله ، واثنى عليه بما هو له اهل .

ثم قال :

« يا ايها الناس ، انفذوا بعث اسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة ابيه من قبله ، وانه لخليقٌ للامارة ، وإن كان ابوه لخليقاً لها » ..

ثم نزل رسول الله ، ﷺ ، وانكمش الناس في جهازهم ، واشتد برسول الله ، ﷺ ، مرضه .

فخرج اسامة ، وخرج بجيشه معــه ، حتى نزلوا الجُرْف من المدينة على فرسخ .

فضرب به معسكره ، وتتام اليه الناس .

وثقل رسول الله ، ﷺ ، فأقام اسامة والناس ، لينظروا مـا الله قاض في رسول الله ، ﷺ ..

استوصوا بالانصار خيراً

وروي ان رسول الله ، ﷺ .. قــال – يوم صلى واستغفر لأصحاب أُحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر ، مع مقالته يومئذ –

« يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالانصار خيرا ، فـان الناس يزيدون ، وان الانصار على هيئتها لا تزيد ، وانهم كانوا عَيبتي التي أويت اليها ، فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » ..

ثم نزل رسول الله ، ﷺ .. فدخل بيته ، وتتامّ به مرضه حتى غمره .

من صنع هذا بي ؟

فاجتمع اليه نساء من نسائه ، ام سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُمَيس .

وعنده العباس عمه ، فأجمعوا على أن يَلُدُّوه[1] .

وقال العباس : لأُلدَّنَّه .

فلدُّوه ..

فلما افاق رسول الله ، ﷺ .. قال :

« من صنع هذا بي » ؟

قالوا : يا رسول الله عمك .

قال « هذا دواءٌ أتي به نساء جئن من نحو هذه الارض » ..

وأشار نحو ارض الحبشة .

(١) لددت المريض : إذا جعلت الدواء في شق فمه .

قال : « ولم فعلتم ذلك » ؟

فقال عمه العباس : خشينـــا يا رسول الله ان يكون بك ذات جَنْب .

فقـال : « إن ذلك لداءٌ ما كان الله ليقذفَني به ، لا يبقَ في البيت احد إلا ُلدّ إلا عمي » ..

فلقد لدت ميمونة ، وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ، ﷺ .. عقوبة لهم بما صنعوا به .

يدعو بالاشارة

عن أسامة بن زيد ، لمـا ثقُل رسول الله ، ﷺ ، هبطت ، وهبط الناس معي إلى المدينـة .

فدخلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أصْمِت ، فلا يتكلم .

فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضعها عليّ ، فأعرف أنـــه يدعو لي ..

اذا والله لا يختارنا !

عن عائشة قــالت :

ـ كان رسول الله ، ﷺ .. كثيراً ما أسمعه يقول :

« **ان الله لم يقبض نبياً حتى يُخيِّرَهُ** » ..

قالت : فلما حُضر رسول الله .. ﷺ .. كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول :

« **بل الرفيقَ الاعلى من الجنّة** » ..

قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت انه الذي كان يقول لنـــا

« **ان نبياً لم يُقبضْ حتى يُخَيَّر** » ..

وعن عائشة أيضاً قـــالت :

ـ كان رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« **ما من نبي الا تُقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد اليه ، فيخير بين ان ترد اليه ، وبين ان يلحق** » ..

فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمسندته إلى صدري ، فنظرت اليه حين مالت عنقه ..

فقلت : قد قضى ..

فعرفت الذي قال .

فنظرت اليه حين ارتفع فنظر ..

قلت : إذاً والله لا يختارنا ..

فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقاً .

مروا ابا بكر فليصل بالناس

عن عائشة قالت :

لما استعزّ برسول الله .. ﷺ .. قال :

« مروا ابا بكر فليُصَلّ بالناس » .

قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروه فليصل بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « انكنّ صواحبُ يوسفَ ، فروه فليصل بالناس » .

قالت : فوالله ما اقول ذاك إلا أني كنت احب ان يُصْرَف ذلك عن أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبُّون رجلاً قام مقامه ابداً ، وان الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت احب أن يصرف ذلك عن أبي بكر ..

فأين ابو بكر ؟

عن عبدالله بن زَمْعة قال :

ـ لما استعز برسول الله .. ﷺ .. ـ وأنا عنده في نفر من المسلمين ـ دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال : مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ..

فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً .

فقلت : قم يا عمر فصل بالناس .

فقام .. فلما كبر ، سمع رسول الله ، ﷺ .. صوته ، وكان عمر رجلاً مُجْهراً [1] .

فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« فأين ابو بكر ؟ . يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون » ..

فبعث إلى ابي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .

قال لي عمر :

ـ ويحك !! ماذا صنعتَ بي يا إبن زمعة ؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله .. ﷺ .. امرك بذلك ؟ ولولا ذلك ما صليت بالناس .

قلت : والله ما امرني رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

.. ..

(١) مجهراً : عالي الصوت .

بذلك ، ولكني حــــين لم أرَ ابا بكر ، رأيتك احق من حضر بالصلاة بالناس .

النظرة الاخيرة

عن أنس بن مالك :

لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ، ﷺ ، فخرج إلى الناس وهم يصلون الصبح .

فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ، ﷺ ، فقام على باب عـائشة .

فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ، ﷺ ، حـين رأوه ، فرحاً به ، وتفرّجوا .

فاشار اليهم ان اثبتوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله ، ﷺ .. سروراً لمـا رأى من هيئتهم في صلاتهم .

وما رأيت رسول الله ، ﷺ ، أحسن هيئةً منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون ان رسول الله ، ﷺ ، قد افرق[1] من وجعه ، فرجع ابو بكر إلى اهله بالسُّنح[2] .

يصلي وراء ابي بكر !!

لما كان يوم الاثنين ، خرج رسول الله ، ﷺ ، عاصباً رأسه إلى الصبح ، وابو بكر يصلي بالناس .

فلما خرج رسول الله ، ﷺ ، تفرج النـــاس ، فعرف أبو بكر ان النـــاس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ، ﷺ فنكص عن مصلاه .

فدفع رسول الله ، ﷺ ، في ظهره ، وقال :

« صَلِّ بالناس » ..

وجلس رسول الله ، ﷺ ، إلى جنبه ، فصلى قـــاعداً عن

---

(١) افرق من وجعه : ابل من مرضه وبرىء منه .

(٢) موضع كان لابي بكر فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

يمين ابي بكر .

فلما فرغ من الصلاة ، اقبل على الناس ، فكلمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول :

« أيها الناس ، سُعّرتِ النارُ ، واقبلتِ الفتن كقِطع الليل المظلم ، واني والله ما تمسّكون عليّ بشيءٍ ، اني لم احِلّ الا ما احَلّ القرآنُ ، ولم أحَرّمْ الا ما حرّم القرآنُ » ..

فلما فرغ رسول الله ، ﷺ ، من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله ، إني أراك قد أصبَحْت بنعمة من الله وفضل ، كما نُحب ، واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها ؟

قال : « نعم » ..

ثم دخل رسول الله ، ﷺ .. وخرج أبو بكر إلى اهله بالسُّنح .

بل الرفيق الأعلى

فتوُفيّ رسول الله ، ﷺ ، حين اشتد الضُّحاء من يوم الاثنين ، لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، لتمام عشر

سنين من مقدمه المدينة .

عن عائشة قالت :

رجع إليّ رسول الله ، ﷺ .. في ذلك اليوم ، حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجري .

فدخل علي رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر .

فنظر رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم اليه في يده ، نظراً عرفت انه يريده .

فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن اعطيك هذا السواك ؟

قال : « نعم » ..

قالت : فأخذته فمضغته حتى ليّنتُه ، ثم اعطيته إياه .

فاستنّ به كاشد ما رأيته يستن بسواك قطُّ ، ثم وضعه .

ووجدت رسول الله ، ﷺ ، يثقل في حجري ، فذهبت أنظر في وجهه ..

فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول :

« بلِ الرفيقَ الاعلى من الجنة » ..

فقلت : خُيِّرْتَ فاخترتَ ، والذي بعثك بالحق .

وقُبض رسول اللـه ، ﷺ ..

تقول عـــائشة :

« مات رُسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم .. بين سَحْري[1] وَنحْري[2] وفي دولتي[3] ، لم اظلم فيه احـــداً . فمن سَفَهي وحداثة سني ، أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتَدِمُ[4] مع النساء ، وأضربُ وجهي !. »

والله ما مات !!

عن ابي هريرة :

لما توفي رسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم .. قـــام عمر بن

(١) السحر : من الرئة إلى الحلقوم .
(٢) النحر : اعلى الصدر .
(٣) في دولتي : في نوبتي التي كانت لي .
(٤) التدم : اضرب صدري .

الخطاب فقال :

« إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي ، وإن رسول الله ﷺ .. والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه ، اربعين ليلة ، ثم رجع اليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله ليرجعَنّ رسول الله .. ﷺ .. كما رجع موسى ، فليقطعَنّ ايدي رجال وارجلهم زعموا ان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم مات » ..

أبو بكر يُقبّل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد – حين بلغه الخبر – وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ ، في بيت عائشة .

ورسول الله ، ﷺ .. مغطى الوجه في ناحية البيت ، عليه بُرْدُ حِبَرَةٍ [1] .

(١) نوع من ثياب اليمن .

فاقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ .

ثم اقبل عليه فقبّله .

ثم قال : بأبي أنت وأمي ، اما الموتةُ التي كتب الله عليك ، فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً .

ثم ردّ البُرْد على وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس .

وما محمد إلا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت . .

فأبى إلا أن يتكلم .

فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، اقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه ، اقبلوا عليه ، وتركوا عمر .

فحمد الله واثنى عليه .

ثم قال : ايها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت .

ثم تـلا هـذه الآية :

﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قدْ خَلَتْ من قبله الرسل أفانْ مات او قُتل انقلبتم على اعْقابكم ومن ينقلبْ على عقبيْه فلنْ يَضرّ اللهَ شيئاً وسَيَجزِي الله الشاكرين ﴾ ..

فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

واخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في افواههم .

قـال ابو هريرة :

قال عمر : فوالله ما هو إلا ان سمعت ابا بكر تلاها فعُقِرْتُ[1] حتى وقعت إلى الأرض ، ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله ﷺ ، قد مات .

---

(١) فعقرت : تحيرت ودهشت .

عمر يروي قصة اختيار ابي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا ـ حين توفى الله نبيه ﷺ ـ ان الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر .

فقلت لأبي بكر :

ـ انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمّهم .. حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة ..

فلما جلسنا ، تَشَهد خطيبهم ، فاثنى على الله بما هو له أهل ..

ثم قال : أما بعد ، فنحن انصار الله ، وكتيبة الاسلام ، وانتم يا معشر المهاجرين ، رهط منا ، وقد دَفّتْ[1] دَافّةٌ من

---

(١) الدافة : الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة .

قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون ان يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر .

فلما سكت اردت ان اتكلم ، وقد زَوَّرْتُ[1] في نفسي مقالة قد اعجبتني ، اريد ان اقدمها بين يدي أبي بكر ..

فقال ابو بكر : على رِسْلِكَ يا عمر .

فكرهت أن اغضبه .

فتكلم ، وهو كان أعلم مني واوقر ..

فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته ، او مثلها ، او افضل ، حتى سكت .

قال : اما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له اهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم اوسط العرب نسباً وداراً .

وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ..

واخذ بيدي وبيد ابي عُبَيدَة بن الجرّاح وهو جالس بيننا ..

---

(١) زورت : اعددت وحسنت .

ولم اكره شيئاً مما قال غيرها ، كان والله أن اقـدّمَ فتضرب عنقي ، لا يُقَرّبني ذلك إلى إثم ، أحب إلي من ان اتـأمر على قوم فيهم ابو بكر .

فقال قائل من الأنصار : منـا امير ، ومنكم امـير ، يا معشر قريش .

قـال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوّفْت الاختلاف .

فقلت : ابسْط يَدكَ يا ابا بكر .

فبسط يده ، فبايعته .

ثم بايعه المهاجرون .

ثم بايعـه الانصار ..

عمر يعتذر

عن انس بن مـالك :

لما بويع ابو بكر في السقيفـة ، وكان الغـد ، جلس أبو بكر

على المنبر .

فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ..

فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله .

ثم قال :

« ايها الناس ، اني قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت ، وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده الى رسول الله ، ﷺ .. ولكنى قد كنت ارى أن رسول الله ، ﷺ .. سَيُدَبِّرُ أمرنا .. يكون آخرنا ! »

وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هَدَى الله رسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له .

وإن الله قـــد جمع امركم على خيركم ، صاحب رسول الله ، ﷺ ، ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة ، بعد بيعة السقيفة .

لست بخيركم

ثم تكلم ابو بكر ..

فحمد الله واثنى عليه بالذي هو اهله ..

ثم قال :

أما بعد ايها الناس ، فإني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن احسَنتُ فاعينوني ، وإن اسأت فقَوّموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله .

لا يَدَعُ قوم الجهاد في سبيل الله .. إلا ضربهم الله بالذل .

ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قط إلا عَمّهمُ الله بالبلاء .

اطيعوني ما اطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .

قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

اعداد الجسد الشريف

فلما بويع ابو بكر ، رضي الله عنه ، اقبل الناس على جهاز رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يوم الثلاثاء .

فأسند علي بن ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره ..

وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه .

وكان اسامة بن زيد ، وشُقْران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء ..

وعليٌ يغسله ، قد اسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدلكه من ورائه ، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ .

وعليّ يقول : بأبي انت وامي ، ما اطْيَبك حياً وميتاً .

ولم ير من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. شيء مما يُرى من الميت .

فلما فرغ من غسل رسول الله ، ﷺ .. كفن في ثلاثة

أثواب ..

صُحاريّين[1] ، وبُردٍ حِبَرَةٍ ، أدرج فيه إدراجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وُضع على سريره في بيته .

وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه .

فقال قائل : ندفنه في مسجده .

وقال قائل : بل ندفنه مع اصحابه .

فقال ابو بكر : إني سمعت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما قُبض نبيٌّ الا دُفِنَ حيثُ يُقبضُ » ..

---

(١) نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

فرفع فراش رسول الله ، ﷺ .. الذي توفي عليه ، فحفر له تحته .

ثم دخل الناس على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، يصلون عليه ارسالاً .

دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا ادخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء ادخل الصبيان .

ولم يَؤُمَّ الناس على رسول الله ﷺ أحد .

في ليلة الاربعاء

عن عائشة قالت :

ما علمنا بدفن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. حتى سمعنا صوت المساحي من جوْفِ الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ، ﷺ .. علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ . ..

وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلي بن أبي طالب : يا علي أنشدك بالله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال له : انزل ..

فنزل مع القوم .

وقد كان مولاه شقران ــ حين وضع رسول الله .. صلى الله عليه وسلم في حفرته وبني عليه ــ قد أخذ قطيفة ، قد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً .

قال ابن عباس :

بُعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

*

قال ابن الأثير :

« لما توفي رسول الله ، ﷺ .. اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عُبادة ..

« فبلغ ذلك أبا بكر .. فأتاهم ومعه عمر ..

وابو عُبَيدَة بنُ الجرّاح ..

« فقال : ما هذا ؟

« فقالوا : منا امير ومنكم امير ..

« فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومنكم الوزراء ..

« ثم قال أبو بكر :

« قد رضَيت لكم أحد هذين الرجلين .. عمر .. وأبا عُبيدَة .. أمين هذه الامّةُ ..

« فقال عمر : أيكم يطيب نفساً أن يخلُف قدَمين قدّمهما النبيّ ، ﷺ ؟

« فبايعه عمر .. وبايعه الناس .. »

هذه رواية .. وأخرى .

« وقد رضيتُ لكم أحد هذَين الرّجلين .. واخذ بيـدي .. وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح .. »

وفي رواية أخرى ..

« فقال أبو عبيدة :

« يا معشر الأنصار .. إنّـكم أوّل مَن نصر ..

« فلا تكونوا أوّل مَنْ بَدّل وغير ..

« فقال أبو بكر :

« هذا عُمر .. وأبو عُبَيْدَة ..

« فإن شئتم فبايعوا ..

« فقالا :

« والله .. لا نتولى هذا الأمر عليك .. وأنت أفضل المهاجرين وخليفـــة رسول الله .. ﷺ .. في الصلاة .. وهي أفضل دين المسلمين ..

« أبسط يدك نبـــايعك ..

« فلما ذهبا يبايعانه ..

« اقبل الناس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب .. »

★

ذلكم أبو عبيـدة .. صاحب رسول الله .. ﷺ ..

رجل مرشح للمنصب الاعلى ..

رشحه .. مَن هو أفضل هذه الامّة .. أبو بكر ..

وقال : هذا عُمر .. وأبو عُبَيدة .. فإن شئتم فبايعوا !!

إنّ أبا عُبيدة .. يوازي في تقدير أبي بكر .. عُمر !!

وكيف لا .. وهو أمين هذه الامة ؟!

ذلكم أبو عبيدة ..

أتته الخلافة .. وأيّ خلافة ؟!

أوّل خلافة بعد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وإنّ لها لشأناً !!

فأبى .. وقال ومعه عمر :

« واللهِ .. لا نتولى هذا الامر عليك .. » !!

إنّـه ُعمر .. وما أدراك ما ُعمر ؟!

وإنّـه ابو عبيدة . وما أدراك ما أبو ُعبَيدَة ؟!

ابو بكر ..

يأمر بقتال ..

امبراطورية الروم ؟!

لئن كان خالد عجيبا ..

فان ابا بكر اعجب وأعجب !!

ذلكم ان خالدا واحد من قادة أبي بكر .. فكيف كان أبو بكر الذي كان خالد احد جنوده ؟!!

تدريب المسلمين على غزو الروم ؟!

• كان غزو المسلمين للروم في الشام قد بدأ في حياة النبي ﷺ .. ففي السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله ﷺ .. جيش مؤتة بقيادة زيد بن حارثة ..

• ثم انتهت قيادة الجيش باتفاق المسلمين إلى خالد بن الوليد .. الذي تجلت عبقريته الحربية في إنقاذ جيش المسلمين من نكبة كادت تقضي عليه ، بعد ان قتل قواده الثلاثة الذين عينهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ..

« وفي السنة التاسعة تجهز النبي ﷺ .. في ثلاثين الفـــاً لغزو الروم .. وسار اليهم يقود المسلمين حتى بلغ تبوك ، فلم يلقَ قتالاً .. وعاد بالمسلمين سالمين غـانمين ..

« وقبيل وفاته .. صلى الله عليه وسلم .. جهز جيش أسامـة ابن زيد .. وأوعب فيه الناس ، ولكنه لم يخرج إلى هـذا الوجه الذي جهزه اليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. إلاّ في خلافـة أبي بكر ..

ماذا ترى يا أبا الحسن ؟!

« روي : ان ابا بكر لما اراد ان يجهز الجنود إلى الشام ، دعـا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعـد ابن أبي وقـاص

وابا عبيدة بن الجرّاح

« ووجوه المهاجرين والانصار من اهل بدر وغيرهم ..

« وشاورهم وكلهـم استصوبوا رأي أبي بكر ..

« وقالوا : ما رأيت من الرأي فامضه .. فإنا سامعون لك مطيعون .. لا نخالف أمرك ..

« وعليّ في القوم لا يتكلم ..

« فقال له ابو بكر : ماذا ترى يا ابا الحسن ؟

« فقال : ارى انك مبارك ، ميمون النقيبة ، فانك إن سرت اليهم بنفسك ، او بعثت اليهم نصرت إن شاء الله تعالى ..

« قال أبو بكر : بشرك الله بخير .. ومن اين علمت هذا ؟

« قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :

« لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى تقوم الساعة واهله ظاهرون » ..

« قال ابو بكر : سبحان الله ! ما أحسن هذا الحديث !. لقد سررتني ، سرك الله في الدنيا والآخرة .

أتؤمره وقد صنع ما صنع ؟!

•

ثم قام ابو بكر فخطب الناس ورغبهم في الجهاد ..

ثم امر بلالاً فاذن في الناس :

« انفروا ايها الناس الى جهـــاد عدوكم الروم بالشام .. وامير الناس خالد بن سعيد » ..

وكان خالد بن سعيد من عمال رسول الله ، ﷺ .. على اليمن ، فلمـــا ولاه ابو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، أتى عمر أبا بكر ومنعه من تامير خالد بن سعيد على النـــاس ، فعزله عن الإمارة العامة ، وجعله ردءاً بتيماء ..

قـــال الطبري :

وكان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد ، أن خالداً حين قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ، ﷺ ، تربص ببيعـــة أبي بكر شهرين يقول :

ــ أمرني رسول الله .. ﷺ .. ثم لم يعـزلني حـتى قبضه الله ..

وقد لقي خالد بن سعيد علي بن ابي طـالب وعثمان بن عفان فقـــال :

ــ يا بني عبد مناف ، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم ؟

فأما ابو بكر فلم يحفلها عليـه ..

واما عمر فاضطغنها عليه ..

ثم بعث ابو بكر الجنود إلى الشام ، وكان اول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد ..

فاخذ عمر يقول :

« اتؤمره وقد صنع ما صنع .. وقال ما قال » ؟!

فلم يزل بابي بكر حتى عزله ..

وفي رواية :

فلم يحتمل ابو بكر عليه وجعله ردءاً بتيماء ، اطاع عمر في بعض أمره وعصاه في بعضه ..

عمرو بن العاص ..
يتطلع إلى الامارة العامة ؟!

وعقـد ابو بكر الألوية للأمراء :

« فعقد لواء لعمرو بن العاص بعد أن استقدمه من عمان ، وكان

والياً عليها من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

« فكتب اليه أبو بكر يقول :

ـ قد احببت أبا عبد الله أن افرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه .. إلاّ أن يكون الذي أنت فيه احب اليك .. »

فكتب اليه عمرو :

ـ إني سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها واخشنها وأفضلها فارم به ..

وكان عمرو بن العاص يرغب في الامارة العامة على جيوش الاسلام في الشام كلها ..

فأبى عليه ذلك أبو بكر ..

قال عمرو

ـ يا خليفة رسول الله .. أنا وال على الناس ؟

فقال : نعم .. انت الوالي على من أبعث معك من ههنا ..

قال : لا ، بل وال على من أقدم عليه من المسلمين !

قال : لا .. ولكنك أحد الأمراء ..

فان جمعتكم حرب فابو عبيدة اميركم ..

فسكت عنه !

لواء يزيد بن أبي سفيان ؟!

وعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان وأوصاه ..

ثم خرج أبو بكر يودع يزيد وهو يمشي ويزيد راكب !!

وعقد لواء لشرحبيل بن حسنة .. وسيره إلى الأردن ..

وأوصاه بمثل ما أوصى به يزيد بن أبي سفيان .

لواء ابي عبيدة بن الجراح ؟

وعقد لواء لأمين الامة أبي عبيدة بن الجراح ..

وجعل وجهه « حمص » ..

وجعله امير الناس ان اجتمعوا ..

وابى ان يؤمر عليه عمرو بن العاص ..
مع إلحاح عمرو في ذلك !

الامبراطور هرقل ..
يعقد مؤتمراً حربياً ؟!

سارت جيوش المسلمين حتى نزل كل جيش منها مكاناً يشرف منه على الروم ..

وكان هرقل مقيماً ببيت المقدس بعـــد انتصاره على الفرس وتحريره من نيرهم ..

فأتاه الخبر بقرب جنود الاسلام منه ، فجمع اليه خاصته واصحاب مجلسه ، وفيهم اخوه « تذارق » ..

فقـال لهم :

ـ أرى من الرأي ألاّ تقاتلوا هؤلاء القوم ، وان تصالحوهم .. فوالله لان تعطوهم نصف ما اخرجته الشام وتـــأخذوا نصفه ، وتقر لكم جبـــال الروم ، خير لكم من أن يغلبوكم على الشام

ويشاركوكم في جبال الروم ..

فأبوا عليه رأيه ، وردوا عليه قوله .. وتغلبت العامة على الخاصة وذوي الرأي .

وأخذتهم العزة بالإثم ، فاضطر هرقل ان ينزل على رأيهم ويسير بهم لقتال المسلمين .

فنزل حمص ، واجتمع له فيها جيش كثيف ، فرقه كتائب .. وجعل في وجه كل امير من أمراء المسلمين جيشاً يفوق عدده عدد جيش الاسلام !!

هرقل .. تدوي في اعماقه ..
انتصارات خالد ؟

وكان قد ترامى إلى هرقل أن خالد بن الوليد قد طلع على « سوى » وانتسف اهله واموالهم ..

وعمد إلى بصرى فافتتحها .. وهو في طريقه لغوث إخوانه أمراء الشام ..

فقال هرقل لجلسائه :

« ألم اقـــل لكم لا تقاتلوهم .. فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ؟!.

« إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم »[1] ..

فلا يقوم لهم احد حتى يبلى ..

فقال له قومه : قاتل عن دينك ولا تجبن النـــاس .. واقض الذي عليك ..

فلما رأى هرقل ذلك منهم جمع اليه اهل البلاد واشراف الروم ومن كان على دينهم من العرب .

فقال لهم :

ـ يا أهل هذا الدين إن الله قد كان اليكم محسناً .. وكان لدينكم معزاً وله ناصراً على الأمم الخالية .. وعلى كسرى والمجوس والترك وعلى من سواهم من الأمم .. وذلك انكم كنتم تعملون بكتـاب ربكم الذي كان امره رشداً .. فلما بدلتم وغـيرتم ذلك أطمع فيكم قوماً والله ما كنا نعبأ بهم ، ولا نخاف ان نبتلي بهم ..

. ...

(١) حرصهم على النوائب في الحرب

وقد ساروا اليكم حفاة عراة جياعاً ، قد اضطرهم إلى بلادكم قحط المطر وجدوبة الارض وسوء الحال ، فسيروا اليهم وقاتلوهم عن دينكم وبلادكم وابنائكم ونسائكم ..

وأنا شاخص عنكم ، وممدكم بالخيول والرجال !!

امراء جيوش المسلمين يتشاورون ؟

فلما رأى أمراء المسلمين اجتماع الروم لهم رأوا ان يتشاوروا فيما يصنعون ..

فكان فيما اشار عليهم به عمرو بن العاص :

ـ إن الرأي لمثلنا الاجتماع ، وذلك ان اجتماع مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ..

وكتبوا إلى ابي بكر ..

ثم اتعدوا جميعاً « اليرموك » ..

ووافاهم كتاب أبي بكر بالاجتماع على مثل ما أشار به عمرو ابن العاص ..

فقال لهم :

— ان اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً .. والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم اعوان الله ، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتي العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين .. وليُصَلّ كل رجل منكم باصحابه !!

خالد .. لها ؟!

اجتمع الروم .. ونزلوا وادياً عسكروا على ضفته وجعلوه خندقاً بينهم وبين المسلمين ..

فحصرهم المسلمون شهر صفر والربيعين ، لا يقدر احد الفريقين على أن ينال نيلاً من الآخر ..

فلما طال الأمر على المسلمين كتبوا إلى الخليفة يخبرونه بجموع الروم وكثرتهم ويستمدونه ..

ولم يكد كتاب الأمراء يقع إلى أبي بكر ، حتى طاف بخاطره

فاقىء عين الردة ، وفاتح العراق ، ومدوخ فارس ، سيف الله ، وسيف رسوله .. القائد المظفر خالد بن الوليد .. فاستنار وجه أبي بكر لهذا الخـــاطر ..

وقال يخاطب نفسه :

« خالد لها ..

« والله لأنسينَّ الروم وساوس الشيطان .. بخالد بن الوليد » !!

هرقل يحشد ٢٤٠ الفـاً ؟

وقال إبن الأثير :

فلما وصل الأمراء إلى الشام ..

نزل ابو عبيدة الجابية ..

ونزل يزيد البلقاء ..

ونزل شرحبيل الأردن

ونزل عمرو بن العاص العَرَبة ..

فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هِرَقل ، وكان بالقدس ، فجمعهم

وسار بهم إلى حمص فنزلها وأعدّ الجنود والعساكر ، واراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بازائه ..

فارسل تذارق أخاه لأبيه وأمه في تسعين الفـا إلى عمرو .

وأرسل جرجة بن توذر إلى يزيد بن ابي سفيان .

وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين الفا ، الى ابي عبيدة بن الجرّاح ..

وبعث الدّراقص نحو شرحبيل .

فهابهم المسلمون وكاتبوا عمراً : ما الرأي ؟

فاجابهم : إنّ الرأي لمثلنا الاجتماع .. فـان مثلنـا إذا اجتمعنا لا نُغْلب من قلة . فان تفرقنا لا يقوم كل فرقة له بمن استقبلهـــا لكثرة عدونا ..

وكتبوا إلى ابي بكر ..

فأجابهم مثل جواب عمرو وقال :

« إنّ مثلكم لا يؤتى من قلة .. وإنما يؤتى العشرة ألاف من الذنوب .. فاحترسوا منها .. فاجتمعوا باليرموك متساندين .. وليصل كل واحد منكم بأصحابه ..

فاجتمع المسلمون باليرموك ، والروم ايضاً .. وعليهم التذارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى المجنبة باهان ..

ولم يكن وصل بعد اليهم .. والدراقص على الأخرى ، وعلى الحرب الفيقار ..

فنزل الروم وصار الوادي خندقاً لهم ، وإنما ارادوا أن يتانس الروم بالمسلمين لترجع اليهم قاوبهم ..

ونزل المسلمون على طريقهم ، ليس للروم طريق إلاّ عليهم .

فقال عمرو : أبشروا !. حُصرت الروم وقلّ ما جاء محصور بخير ..

واقاموا صفراً عليهم وشهرَيْ ربيع لا يقدرون منهم على شيء من الوادي والخندق .. ولا يُخرج الروم خرجة إلاّ أغار عليهم المسلمون !!

★

إن هرقل حشد ربع مليون من جنوده في تلك المعركة ..

إنه عدد رهيب في مقاييس تلك الأزمنة ..

إن المسلمين بعثوا إلى الخليفة ، يستمدونه ..

فماذا كان من الخليفة العبقري ؟!

سيف الله ..

قائداً عاماً ..

للقوات الاسلامية المسلحة؟!

۲٤۰۰۰۰ عدد جيوش الروم باليرموك ..

۲۷۰۰۰ عدد جيوش المسلمين امامهم ..

اي امام كل جندي مسلم واحد .. عشرة جنود من الروم ..

ففزع قادة جيوش المسلمين إلى الخليفة .. ليرسل اليهم مدد سريعاً ..

ففكّر العبقري أبو بكر : مَن لهذه المعركة الفاصلة ؟!

مَن يدمّر الروم تدميراً ؟!

فرشحت الأقدار ، خالداً ..

وقال أبو بكر كلمته الفاصلة الخالدة :

« خالد لها ..

« والله .. لانسين الروم وساوس الشيطان ..

« بخالد بن الوليد » !!

وفوراً تحرك الخليفة ..

وفوراً كتب إلى خالد يرجعه من حجته التي غامر فيها وأدّى حجته الخاطفة :

« سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك .. فـــانهم قد شجوا واشجوا ..

« وإياك ان تعود لمثل ما فعلت ..

« فانه لم يشج الجموع بعون الله احد من الناس شجيك ..

« ولم ينزع الشجي احد من الناس نزعك ..

« فليهنك أبا سليمان النية والحظوة ..

« فاتمم يتمم الله لك ..

« ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ..

« وإياك أن تدل بعمل .. فـــان الله له المن .. وهو ولي الجزاء » !!

قال ابن الأثير :

« فكتب إلى خالد بن الوليد يامره بالمسير اليهم وبالحثّ ..

« وان يـــأخذ نصف الناس .. ويستخلف على النصف الآخر

المثنّى بن حـــارثة الشيبانيّ .. ولا يأخذنّ مَن فيه نجدة إلا ويترك عند المثنى مثله . وإذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه إلى العراق ..

« فاستأثر خالد بأصحاب النبي .. صلى الله عليه وسلم .. على المثنّى .. وترك للمثنى عدادهم من اهل القناعة مَن ليس له صحبة ، ثم قسم الجند نصفين ..

« فقال المثنى : والله لا اقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر .. وبالله ما ارجو النصر إلاّ بأصحـــاب النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

« فلما رأى خالد ذلك أرضاه ..

« وقيل : سار من العراق في تسعة آلاف .. » !!

إنهم يتنازعون أصحاب النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

خالد يريدهم ..

والمثنى يريدهم ..

نعم .. لأنهم يقاتلون لله .. والنصر ينزل على قلوبهم !!

سيف الله ..

يسلك صحراء .. لا ماء فيها ..

قـال الراوي :

« خلف خالد على العراق بامر الخليفـة ، المثنى ..

« وفصل بمن معه من أبطال الاسلام من الحيرة إلى دومـة ..

« ثم طعن في البرية ، وطلب حذاق الأدلاء وقال لهم :

« كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم ؟

« فاني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين » !!

إن البطل يتلولب للروم .. يريد طريقاً لا يتوقعون أن يأتي منه ، ولو كان في هذا الطريق هلاك محقق !!

« فكلهم قالوا : لا نعرف إلاّ طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ الراكب ، فاياك ان تغرر بالمسلمين ..

« فابى خالد إلا ان ينفذ رأيه ، وطلب الخريت ، فدل على رافع

ابن عمير الطائي ..

« فقال له في ذلك ..

« فقال رافع : إنك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال ، والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها إلا مغرور ، إنها لخمس ليال جياد ، لا يُصاب فيها ماء مع مضلتها ..

« فقال له خالد : ويحك ! إنه والله لا بد لي من ذلك ، إنه قد اتتني عزمة فمر بامرك ..

« ثم قام خالد في الناس ليشحذ عزائمهم ، فقال :

« لا يختلفن هديكم .. ولا يضعفن يقينكم ..

« واعلموا ان المعونة تاتي على قدر النية .. والاجر على قدر الحسبة ..

« وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله » !!

★

يقطع ٨٦٠ كيلو .. ليس فيها ماء ؟

« فقالوا له : انت رجل قد جمع الله لك الخير .. فشانك ..

« والتفت خالد إلى رافع بن عمير يستنطقه ..

« فقال رافع : استكثروا من الماء من استطاع منكم ان يصر أذن ناقته على ماء ، فليفعل ، فانها المهالك إلا ما دفع الله ..

« ثم قال لخالد : أبغني عشرين جزوراً عظاماً مسان ..

« فأتاه بهن .. فعمد اليهن فظماهن ، حتى إذا اجهدهن العطش أوردهن فشربن ، حتى إذا تملأن عمد اليهن فقطع مشافرهن ..

« ثم كعمهن لئلا يجتررن ..

« ثم قال لخالد : سر !!

« فسار خالد معه مغذاً بالخيول والأثقال ..

« فكلما نزل منزلاً .. اقتطع اربعاً من تلك الشرف ، فأخذ ما في أكراشها ، فمزجه بما كان من اللبان فسقاه الخيل ، ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ..

« فلما كان آخر يوم من المفازة خشي خالد على اصحابه أن يفضحهم حر الشمس ، فأراد ان يطمئنهم ، فقال لرافع :

« **ويحك يا رافع ما عندك ..**

« قال : خير ، ادركت الري إن شاء الله ..

« وشجعهم وهو متحير أرمد ..

« فلما دنا من مكان يعرفه قال للناس : انظروا هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل ؟

« قالوا : ما نراها ..

« قال رافع : إنا لله وإنا اليه راجعون ؟!

« هلكتم والله إذاً وهلكت .. لا ابا لكم .. انظروا ..

« فطلبوها فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية ..

« فلما رآها المسلمون كبروا وكبر رافع ..

« ثم قال : احفروا في اصلها ..

« فحفروا فنبع الماء .. وشربوا حتى روي الناس ، واتصلت بعد ذلك المنازل ..

« وهذه المفازة التي غامر خالد بنفسه وجيوشه في قطعها

من العراق إلى الشام ليخرج على الروم ، فلا يحبسه دونهم شيء ، هي المعروفة الآن ببادية الشام .. وهي اليوم طريق السيارات بين دمشق وبغداد ..

« قال المرحوم الاستاذ عبد الوهاب عزام :

« ـ وفي هذا الجانب طريق السيارات بين دمشق وبغداد اليوم ، وهو زهاء ثمانمائة وستين كيلو تقطعها السيارات في عشرين ساعة مع الاستراحة ..

« وهي البادية التي اخترقها سيدنا خـالد بن الوليد بجيشه في السنة الثانية عشرة من الهجرة ..

« إذ سار من العراق مـدداً لجيوش العرب في الشـام ، فرمى بنفسه وجيشه في بادية لا ماء فيها ، وأتى الروم من مامنهم ، وفجاهم بما لم يحتسبوا .. وقد قطعها في خمسة ايام .. »

خالد .. يبشر .. جنود الشام ؟

« ورأى إذ ولاه الخليفة الأعظم القيادة العامة .. ووجهه اميراً على الامراء بالشام .. ان يبعث بكتابين أحدهما إلى عامة المسلمين

بالشام يقول لهم فيـــه :

« أما بعد .. فان كتاب خليفـة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. أتاني بالمسير اليكم ..

« وقد شمرت وانكمشت[1] ..

« وكأن قد اظلت عليكم خيلي ورجلي .

« فابشروا بانجاز موعود الله .. وحسن ثواب الله ..

« عصمنا الله وإياكم باليقين .. وأثابنا احسن ثواب المجاهدين » !!

إن خالداً خُلِق ليكون قائداً عامـاً لاعظم الجيوش ..

إنه يتعجل البشرى لإخوانه بالشام !!

---

(١) الانكماش : الجد في الأمر والسرعة في طلبه ..

ويقول لابي عُبيدَة :

انت سيد المسلمين !

وارسل ثانيهما إلى أبي عبيدة خاصة .. وفيه يقول :

« اما بعد .. فاني إسأل الله لنـــا ولك الامن يوم الخوف .. والعصمة في دار الدنيا من كل سوء ..

« وقد اتاني كتاب خليفة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يأمرني بالمسير إلى الشام .. وبالقيـــام على جندها .. والتولي لامرها ..

« والله ما طلبت ذلك قط ..

« ولا اردته إذ وليته ..

« فأنت على حالك التي كانت عليها ..

« لا نعصيك ولا نخالفك ..

« ولا نقطع أمرا دونك ..

« فأنت سيد المسلمين ..

« لا ننكر فضلك .. ولا نستغني عن رأيك ..

« تمم الله ما بنا وبك من احسان ..

« ورحمنا واياك من صلي النار .. والسلام عليك ورحمة الله .. » !!

إن خالداً في حرج .. أن يتامر على ابي عُبَيْدة !!

ولكنه أمر الخليفة !!

وابو عُبيدَة يقول : حيا الله خالداً !

ولما قرأ أبو عُبيدة كتاب خالد قال :

« بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى ..

« وحيّا الله خالداً !!

وكان أبو بكر كتب إلى أبي عُبَيْدَة يعلمه بتولية خالد الامارة العامة لظنه انه افطن في الحرب ..

فقال له في كتابه :

« اما بعد .. فاني وليت خالداً .. قتال العدو بالشام ..

« فلا تخالفه .. واسمع له واطع امره ..

« فاني لم ابعثه عليك .. ان لا تكون عندي خيراً منه ..

« ولكني ظننت ان له فطنة في الحروب ليست لك ..

« وأراد الله بنا وبك خيراً » !!

*

وانطلق سيف الله .. غوثاً .. لإخوته بالشام ..

واستلم القيادة العامة .. من ابي عُبيدَة امين الامة ..

فماذا كان ..

وماذا فعل خالد ؟!

بطل ...

معركة ...

اليرموك ؟!

ليست

عظمة معارك خالد .. انها معارك حربية ..

وإنما انها بعد ذلك معارك لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ..

هناك كلمة اسمها :

« لا اله الا الله ..

« محمد رسول الله » ..

يتحتم أن تكون هي العليا ..

وان تكون كلمة الذين كفروا .. مهما تنوعت ، هي السفلى ..

هذه هي عظمة معارك خالد ، ومعارك أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. جميعاً !!

ومن هنا ، ومن عظمة المبدأ الذي ليس كمثله مبدأ ، كانت قوة

خالد ، وقوة الذين معه ..

قوة يمدها الله بمدده الذي لا ينفد ..

بينما أعداؤهم لا مددَ لهم .. إلاّ إمكاناتهم المـــادية الصماء ..

﴿ ذلك بأنّ اللهَ مَولى الذين آمنوا .. وأنّ الكافرينَ لا مَولى لهم ﴾ ..

خالد .. يصل ناشراً راية .. رسول الله ؟

قال ابن الأثير :

« وسار فوصل إلى ثنية العُقـــاب عند دمشق ناشراً رايته ..

« وهي راية سوداء .. وكانت لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. تسمّى العُقاب ..

« ثم سار فاتى مرجَ راهط ..

« ثم سار حتى وصل إلى بُصرى ، فقاتل مَن بهـا فظفر بهم ..

وصالحهم ، فكانت ُبصرى اول مدينة ُفتحت بالشام على يد خـالد وأهل العراق .. وبعث بالأخماس إلى أبي بكر .

« ثم سار فطلع على المسلمـــين في ربيع الآخر ..

« وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال .

« وخرج باهان كالمقتدر ، فولي خالد قتاله ..

« وقاتل الأمراء َمن بازائهم ..

« ورجع باهـــان والروم إلى خندقهم .. وقد نال منهم المسلمون .. » !!

كان فيهم الف صحابي ؟

« فلمـــا تكامل جمع المسلمين باليرموك ..

« وكانوا سبعة وعشرين الفاً ، وثلاثة آلاف من ُفلاّل خالد بن سعيد ، وعشرة آلاف مع خـــالد بن الوليد ..

« فصاروا اربعين الفاً ..

« سوى ستة آلاف مع عكرمة بن ابي جهل ..

« وكان فيهم الف صحابي .. منهم نحو مائة ممن شهد بدراً ..

« وكان الروم في مائتي الف واربعين الف مقاتل ..

« منهم ثمـــانون الف مقيّد ..

« واربعون الف مسلسل للموت ..

« وأربعون الفـــاً مربطون بالعمائم لئلاّ يفرّوا ..

« وثمانون الف راجل ..

« وكان قتال المسلمين لهم على تساند ..

« كل أمير على اصحابه ، لا يجمعهم أحد ..

« حتى قدم خالد بن الوليد من العراق ..

« وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهراً .

« ثم خرجوا إلى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمـــادي الآخرة ..

خالد يخطب في الجموع

ان هذا يوم من ايام الله ؟

« فلما احسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين ..

« فسار فيهم خالد بن الوليد ، فحمد الله وأثنى عليه

« ثم قال :

« إنّ هذا يوم من ايام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ..

« اخلصوا جهـــادكم ، وأريدوا الله بعملكم ..

« فإن هذا يوم له مـــا بعده ..

« ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية ، وأنتم متساندون فـــان ذلك لا يحلّ ولا ينبغي ..

« وإنّ مَن وراءكم لو يعلم علمكم حـــال بينكم وبين هذا ..

« فاعلموا فيما لم تُؤمروا به بالذي ترونه انه رأيٌ من واليكم ومحبّتـــه ..

« قالوا : هات فما الرأي ؟

« قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلاّ وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ، لقد جمعكم ..

« ان الذي انتم فيه أشدّ على المسلمين ممّـا قد غشيهم ، وأنفـع للمشركين من امدادهم ..

« ولقد علمتُ ان الدنيا فرقت بينكم ، فاللهَ اللهّ !

« فقد افرد كل رجل منكم ببلد لا ينتقصه منه إن دان لأحد من الأمراء ، ولا يزيده عليـه إن دانوا له ..

« إنّ تامير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ، ولا عند خليفـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

« هلمّوا ، فـان هؤلاء قد تهيأوا ..

« وإنّ هذا يوم له مـا بعده .

« إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ..

« وإن هزمونا لم نفلح بعدهـا ..

« فهلمّوا ، فلنتعـاور الإمارة ، فليكن بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى تتأمّروا كلكم ..

« ودعوني اتأمّر اليوم ..

« فامّـروه .. وهم يرون أنهـــا كخرجاتهم .. وأنّ الأمر لا يطول !!

عبقرية خالد .. في تعبئة الجيوش ؟

« فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الراوون مثلها قطّ ..

« وخرج خالد في تعبئة ، لم تُعَبِّها العرب قبل ذلك .

« فخرج في اربعين كردوساً[1]

« وقال : انّ عدوكم كثير .. وليس تعبية اكثر في رأي العين من الكراديس ..

« فجعل القلب كراديس .. واقام فيه ابا عُبيدة ..

« وجعل الميمنة كراديس ، وعليها عمرو بن العاص ، وشُرحبيل ابن حسنة ..

« وجعل الميسرة كراديس ، وعليهـــا يزيد بن ابي سفيان .

---

(١) فرقة ..

« وكان على كردوس ، القعقاع بن عمرو .

« وجعل على كلّ كردوس ، رجلاً من الشجعان .

« وكان القاضي ، أبو الدرداء ..

« وكان القاص أبو سفيان بن حرب ..

« وعلى الطلائع قبـــاث بن أشيم ..

« وعلى الإقباض ، عبدالله بن مسعود ..

خالد يقول :

انما تكثر الجنود بالنصر ؟

« وقال رجل لخالد : ما اكثر الروم واقل المسلمين !

« فقال خالد : ما اكثر المسلمين واقل الروم .. إنمـــا تكثر الجنود بالنصر ، وتقلّ بالخذلان ، والله لوددت إن الأشقر – يعني فرسه – براء من توجيـــه وانهم اضعفوا في العدد – وكان قد حفي في مسيره – !!

خالد يأمر بالزحف !

هذه لحظة من لحظات الله .

ها هنا ُيكتب التاريخ من جديد ..

إن خالداً يامر بالقتال !

« فامر خالد عكرمة بن ابي جهل .. والقعقاع بن ُعمرو .. فانشبا القتال ..

« والتحم الناس ..

« وتطارد الفرسان .. وتقاتلوا !!

بطولة .. فوق بطولة .. الابطال !

« فانهم على ذلك ، قدم البريد من المدينة ، واسمه مَحْمية ابن زُنيم ..

« فسالوه الخبر ، فأخبرهم بسلامة وامداد ..

« وانما جاء بموت ابي بكر .. وتأمير ابي عُبَيدَة ..

« فبلّغوه خالداً ..

« فاخبره خبر أبي بكر .. سرّاً !!

ها هنا بطولة ، فوق بطولة كل الأبطال ..

بينما المعركة على اشدها ..

ياتيه امر الخليفة عمر .. بعزله عن امارة الجيوش .. وتولية ابي عُبَيْدَة ..

فيكتم خالد الأمر ، حتى يتم النصر للمسلمين !

هذه فعلة تحتاج إلى أعصاب ليس كمثلها أعصاب !

هل انزل الله على نبيكم ...
سيفاً من السماء .. فاعطاكه ؟

« وخرج جَرَجَة إلى بين الصفّين ، وطلب خالداً ، فخرج

اليـــه ..

« فآمن كلّ واحد منهما صاحبه ..

« فقال جَرَجة : يا خالد .. اصدقني ولا تكذبني ، فـــإنّ الحُـرَّ لا يكذب .. ولا تخـــادعني ، فإن الكريم لا يخادع المسترسل ..

« هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه ، فلا تسلّه على قوم إلاّ هزمتهم ؟!

« قال : لا ..

« قـــال : ففيمَ سُميتَ سيف الله ؟

« فقال له : إن الله بعث فينا نبيّه ، صلى الله عليـه وسلم ، فكنتُ فيمن كذّبه وقاتله ، ثم إن الله هداني فتابعته .. فقـــال : أنت سيف الله سلّه الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ..

« قال : فاخبرني إلى ما تدعوني ؟

« قال خالد : إلى الاسلام أو الجزية أو الحرب ..

« قال : فما منزلة مَن يُجيبكم ويدخل فيكم ؟

« قال : منزلتنا واحدة .

« قال : فهل له مثلكم من الأجر والذّخر ؟

« قال : نعم .. وأفضل .. لأننا اتبعنا نبينا وهو حيّ يُخبرنا بالغيب ، ونرى منه العجائب والآيات ، وحُقّ لمن رأى مـا رأينـا وسمع ما سمعنا أن يُسلم ، وأنتم لم تروا مثلنـــا ، ولم تسمعوا مثلنا ، فمن دخل بنية وصدق ، كان افضل منا .

« فقلب جَرَجَة ترسه ، ومال مع خـالد ، وأسلم ..

« وعلّمه الاسلام ، واغتسل وصلى ركعتين .

« ثم خرج مع خالد ، فقاتل الرومَ » !!

قصة رائعة ..

وخالدة من خالدات خالد !!

إن جَرَجَة أحد عظماء قادة الروم ، الذي كان يقود عشرات الألوف ، ويقف بها بازاء قوات يزيد بن أبي سفيان ، قبل التعبئة الموحدة للروم ، هـــا هو ينقلب مسلماً ، وقد بهرتـه أعاجيب بطولة خالد .

ولا يفهم بطولة البطل إلاّ مَن كان في مثل بطولته .

لقد استسلم بطل الروم ، لبطل الاسلام !

مَن يبايعْ على الموت ؟

« وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقفهم إلى المحامية ، عليهم عكرمة وعمّه الحارث بن هشام ..

« فقال عكرمة يومئذ : قاتلت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في كل موطن ثم أفرّ اليوم ؟

« ثم نادى : مَن يبايع على الموت ؟

« فبايعه الحارث بن هشام ، وضِرار بن الأزْور ، في اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم .

« فقاتلوا قُدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، فمنهم من برأ ، ومنهم مَن قُتل .

« وقاتل خالد وجَرَجَة قتالاً شديداً ..

« فقُتل جَرَجَة عند آخر النهار ..

« وصلى الناس الأولى والعصر إيماء ، وتضعضع الروم .

« ونهد خالد بالقَلْب حتى كان بين خيلهم ورَجلهم ..

« فانهزم الفرسان وتركوا الرّجّالة ..

هزيمة الروم ؟

« ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لهـــا ، فتفرّقت .

« وقُتل الرّجالة ، واقتحموا في خندقهم .

« فاقتحمه (خالد بن الوليد) عليهم ..

« فعمدوا إلى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم .. ثمانون ألفاً من المقترنين ، وأربعون الف مطلق ، سوى مَن قُتل في المعركة ..

« وتجلّل الفيقار وجماعة من أشراف الروم برانسهم وجلسوا فقُتلوا مـــتزملين ..

« ودخل خالد الخندق .. ونزل في رواق تذارق ..

« فلما اصبحوا أُتي خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحاً ، فوضع رأسه على فخذه .

« وبعمرو بن عكرمة ، فجعل رأسه على ساقه ومسح وجهيهما ، وقطر في حلقيهما الماء وقـــال :

« زعم ابن حَنتمة - يعني عمر - انا لا نُستَشهَد !

« وقاتل النساء ذلك اليوم وأبلين !!

. . . ٣ شهيد .. من المسلمين ؟

قال عبدالله بن الزّبير :

« كنتُ مع أبي باليرموك وانا صبي لا اقاتل ..

« فلما اقتتل الناس نظرتُ إلى ناس على تلّ لا يقـــاتلون ، فركبتُ وذهبتُ اليهم ، وإذ ابو سفيان بن حرب ومشيخـــة من قريش من مهاجرة الفتح ، فرأوني حدثاً فلم يتقوني ..

« قال : فجعلوا والله إذا مـــال المسلمون وركبتهم الروم يقولون : إيه بني الأصفر ! فاذا مالت الروم وركبهم المسلمون قال : ويح بني الاصفر !

« فلما هزم الله الروم اخبرتُ أبي فضحك فقال : قاتلهم الله !

أبوا إلاّ ضغناً ، لنحن خير لهم من الروم !

« وفي اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب ..

« ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص ، فنادى بالرحيل عنها قريباً ، وجعلها بينه وبين المسلمين وأمّر عليها أميراً ، كما أمّر على دمشق ..

« وكان مَن أُصيب من المسلمين ثلاثة آلاف ..

« منهم عكرمة وابنه عمرو .. » !!

٣٠٠٠ شهيد من المسلمين ..

فكم كان قتلى الروم ؟!

٨٠٠٠٠ من المقترنين .

٤٠٠٠٠ مطلق .

―――――

١٢٠٠٠٠ قتيل من الروم ..

سوى من قتل في المعركة !

شيء عجيب ، كل قتيل من المسلمين يقابله نحو خمسين قتيلاً من الروم !

تفاصيل عند الرواة ؟

قـــال الراوي :

قال الطبري وتابعه ابن الأثير :

« فـــانهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول ، وسالوه الخبر ، فلم يخبرهم إلاّ بسلامـــة ، وأخبرهم عن أمداد ، وإنما جـــاء بموت أبي بكر وتامير أبي ُعبيدة .. فابلغوه خالداً ، فاخبره خبر أبي بكر سره اليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ..

« فقال له خالد : أحسنت .. فقف ..

« واخذ الكتاب وجعله في كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ، فوقف محمية بن زنيم ـ وكان هو الرسول ـ مع خـالد ..

« والذي نلاحظه أن الخبر بموت أبي بكر ، وعزل خالد عن الامارة العامة على جند الشام ، وتولية عمله وإمـــارته ابا ُعبَيدّة ابن الجرّاح .. وصل إلى علم خالد اول الناس ، والقتال بين المسلمين

والروم على أشد ما يكون قتـال بين جيشين أجمع كل جيش منهما على افناء عدوه .

« فما الذي كان من خالد وهو القائد المعزول ، وفي يده زمـام المعركة ؟

« لقد استحسن عمل الرسول الذي حمل اليه كتـــاب عزله في كتمانه هذه الانباء عن خاصة النـاس وعامتهم ، حتى أبلغ الكتـاب اليه ، فجعله خالد في كنانته ..

« فأي قوة نفسية هذه التي مكنت خالداً من ضبط أعصابه بعد إذ عرف أنه معزول عن الامارة ، ومؤمر عليه بعد أن كان أميراً ليس فوقه أمير ، والنصر بين يديه ، لو شاء لأدار به وجـه التاريخ ؟!

« وانتهت هذه الأنباء إلى خالد فكتمهـا حتى انتهى بالمعركة إلى نهايتها العظيمة .

« فأسلم زمام القيادة العامة إلى القـــائد الجديد امين الامة .. ابي عُبَيدة بن الجرّاح ..

« وعاد خالد يعمل تحت لوائه ، قائد فرقة في الموضع الذي كان عليه ابو عبَيدة .. » !!

ابو عُبيدة ...

وزيراً المالية ...

في عهد أبي بكر ..!؟

مِن

المشهـور ..

أن الخليفة الأول .. أبا بكر الصِّدِّيق .. كانت وفـاته .. لثماني ليال ، بقين من جمادي الآخرة ..

« وهو ابن ثلاث وستين سنة ..

« وكانت خلافته سنتين .. وثلاثة أشهر .. وعشر ليال » ..

ومن المعلوم تاريخياً أنّ أبا بكر . وجـه الجنود إلى الشام في سنة ثـلاث عشرة ..

وكان أبو عبيـدة بن الجرّاح .. فيمن وجههم الخليفـة الأول إلى الشـام ..

قال ابن الأثير :

« ثم إنّ ابا بكر استعمـــــل ابا ُعبَيدة بن الجرّاح ، على مَن اجتمع .. وأمَره بحِمْص .. وسار أبو عبيدة على باب من البلقاء ، فقاتله أهله ثم صالحوه .. فكان اوّل صلح في الشام » ..

فاين كان أبو ُعبيدة من الاحداث ، قبل ان يختاره الخليفة قائداً للجيوش المرسلة لفتح الشام إذا اجتمعت ؟!

كان إلى جوار الخليفة ، في هيأة الخلافة العليـا .. ُيستشار في أمور الدولة وُيشير .. وينصح وُيسْمع له .. فهو أمـين الأمّة .. والجميع يقرّون له بذلك الفضل ..

وقد رأينـــــا في فصل سابق ، كيف جَمّع أبو بكر ، وجوه الصحابة واستشارهم في تجهيز الجنود إلى الشام ..

وأنّ أبا ُعبَيدَة كان من هؤلاء العظماء .. الذين هم هيأة القيادة العليـــــا ..

« روي : أن أبا بكر ، لمـــــا أراد أن يجهز الجنود إلى الشام ..

« دعا عمر .. وعثمان .. وعلياً .. وعبد الرحمن بن عوف .. وطلحة .. والزبير .. وسعد بن أبي وقاص ..

« وأبا عُبَيْدَة بن الجرّاح ..

« ووجوه المهاجرين والأنصار ، من اهل بدر وغيرهم ..

« وشاورهم ، وكلهم استصوبوا رأي أبي بكر .. » الخ ..

وهكذا كان أبو عُبيدة في موقعه الطبيعي من القيادة العليا للدولة ..

فهل كان مستشاراً فحسب ، أم كان له عمل آخر ؟

قال ابن الأثير :

« لما ولي أبو بكر ..

« **قال له ابو عُبَيْدة : انا اكفيك المال** ..

« وقال له عمر : انا اكفيك القضاء .

« فمكث عمر سنةً لا ياتيه رجلان .

« وكان عليّ بن أبي طالب .. يكتب له .. وزيد بن ثابت .. وعثمان بن عفـــان .. »

اي أنّ أبا عُبيْدَة ، كان وزيراً للمالية ، في عهد أبي بكر ، إلى جوار عمله كمستشار للخليفة ..

ثم ترك هـــذا العمل ، وخرج على رأس قواته إلى الشام ..

وإذا تأملنا كلمته :

« انا اكفيك المال » ..

لاحظنا أنه اختار بالفطرة ، ما يناسب صفته الأصيلة

« الامـــانة » ..

وانه كان .. اميناً .. حقّاً .. أمينٍ !!

امين الامة ...

ابو عبيدة بن الجراح ...

قائداً عاماً ..

للقوات الاسلامية المسلحة؟!

ما

إن تولى عمر الخلافة ، حتى سارع إلى عزل خالد بن الوليد — قائد عام القوات الاسلامية المسلحة بجبهة الشام — وسيف الله المسلول ، والرجل الذي تعلقت الجماهير بانتصاراته الخارقة !!

وكتب عمر منشوراً يذاع في الامصار والبلدان ، ذكر فيه أنه لم يعزل خالداً ، عن سخطة ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخشي أن يوكلوا اليه ويبتلوا ..

فأحب أن يعلموا ان الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا عرضة للفتنة به .. وينسبون النصر اليه ..

وما النصر إلا من عند الله ..

اوامر الى القائد العام الجديد ..

وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ، غداة قبض أبو بكر يخبره بوفـــاة الخليفة .

ثم كتب بعزل خالد ، وتولية أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه ، وان يكون خالد ، امير اللواء الذي كان أبو عبيدة أميره .

وأصدر عمر اوامره وزواجره إلى أبي عبيدة ، في كتـــاب توليتـــه ..

فماذا قال للقائد العام الجديد ؟

« لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس .

« وإياك والقاء المسلمين في هلكة !

« وقد أبلاك الله بي ، وابلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها .

« وإياك ان تهلكك ، كما أهلكت من كان قبلك فقـــد رأيتم

مصارعهم ! »

تالله إن هذا لشيء عجاب !

إن عمر يأمر أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة احد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد الأصحاب السابقين ، وامين الامة .

يقول له عمر : غمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ؟!

أوفي شك انت من صاحبك يا ابن الخطاب ؟

كلا .. إنما هي الأخوة المؤمنة ، تخاف على صاحبها ، فتنصحه لله ، وتوجهه لله !!

ولو أنك قرأت وصية عمر لقائده العام ، لرأيته يبدأ بها عسكرية صريحة ، يرسم له الخطة ، ويبين له التكتيك ، ثم ينتهي بها رسالة في التربية ، والتوحيد الرباني !

وهكذا كان هؤلاء الناس ، عسكريين من الطراز الاول ، ثم ربانيين من الطراز الاول كذلك .

وهذا ينبغي ان يكون منا ، في عصرنا الحديث ، ينبغي أن نوجه جيشنا بكافة مستوياته نحو الله ، ونحو مثلنا العليا ، وذلك كله إلى جوار ما يتعلمون من دروس العسكرية وفنونها .

ومتى اجتمعت للجيش قوة الروح ، وقوة السلاح ، فهو الجيش الذي لا يقهر ، باذن الله ..

ثم ماذا ؟

ثم ها هو القائد العام المعزول ـ خالد بن الوليد ـ يعمل بنفس الكفاءة والاخلاص ، وهو يقاتل تحت إمرة القائد العام الجديد .. أبي عبيدة بن الجرّاح ..

كل يحترم اخاه ويُوقّره ..

وكلٌ يعمل لوجه الله !

أبو عُبيدة ..

يفتح دمشق ..

وعند خالد بن الوليد ؟!

ماذا في الجبهة الغربية ؟

نذكر أن خالد بن الوليد ، انتصر على الرومان ، نصره الساحق في معركة اليرموك .

وأن عمر ما إن تولى الخلافة ، حتى سارع إلى عزله وهو في أوج انتصاره ، وتولية أبي عبيدة قائداً للجبهة الغربية .

نذكر ذلك ونحن ندخل إلى الجبهة الغربية ، لننظر ماذا تعمل القوات الاسلامية المسلحة فيها ؟

وبعث ابو عبيــــدة يسأل امير المؤمنين رأيه فيما يفعل بعد نصر اليرموك ..

ورد عمر عليه :

« أما بعد .. فابدءوا بدمشق ، فانهَدوا لها ، فإنها حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيــلٍ ، تكون بازائهم في نحورهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب ، وإن تأخر

فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بهـــا ، ودعوها ..

« وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان فتح الله عليكم ، فانصرف انت وخالد إلى حمص ، وضع شُرَحبيل ، وعَمراً بالأردن وفلسطين » .

وقرأ أبو عُبيدة كتـــاب عمر ، وتفكر في الخطة العسكرية البارعة التي أمره بهـا ..

دمشق تستسلم !

وعلى الفور ، انطلق هو وخـــالد بن الوليد ، في قوة الجيش الكبرى يقصدون دمشق ، عروس الشام

وكانت أسوار دمشق مضرباً للمثل في التحصن والمَنَعـــة .

وكانت دمشق كلها قلعة واحدة ، ذات أبراج في كل نواحيها ، فلم يكن لمهاجمتها سبيل إلا بعد حصار طويل .

وطالت مقاومة دمشق ، وطال حصار المسلمين إياهم ، وضيق

المسلمون عليهم الحصار ، وانقضى الشتاء ، واقبل الربيع ، والعرب على حصارهم لا يريمون عنه .

وبدأ اليأس يتسرب إلى نفوس الدمشقيين ..

وكان خالد بن الوليد قائد القوات المقيمة على البـاب الشرقي ، يقظاً لا ينام ولا ينيم ، وكانت له عيون زاكية ، فلا يخفى عليه مما يجـري في دمشق شيء .

ونقلت اليه مخابراته يوماً ، أن بطريرك المدينة ولد له ولد فرح به ، فـأولم للناس .

فأكل الجند وشربوا وغفلوا عن مواقفهم .

وكان خالد قد اتخذ حبالاً كهيئة السلالم ، فلما أدرك الليل اعجازه نهد هو وجنده الذين قدم بهم من العراق ، وقـال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا من السور فارْقوا الينا .

ثم تقدمهم ومعه القعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عديّ ، وامثالهم من الشجعان المغـاوير ..

فعبروا الخندق عـــائمين على القِرَب ، واثبتوا حبالهم في شُرف السور ، وتسلقوا سلاليمها .

حتى إذا ارتقوا على الجدار ، جذبوا بعض الحبال ، وأثبتوهـا في الشرف التي تلي داخل المدينة والقوها .

فانحدر خالد ، وطائفة ممن معه ، ونزلوا أمام الباب ، فعالجوا فتحه بسيوفهم .

وكبر إخوانهم الذين اقاموا باعلى الجدار .

فلما سمع رجال خالد تكبيرهم ، أسرعوا يعبرون الماء ، ويتسلقون الحبال إلى زملائهم فوق السور .

فاجأ خالد حراس الباب ، وهم في غفلتهم فقتلوهم ، وفتحوا أغلاق الباب بالسيوف ..

فدخل منه من لم يرق إلى أعلى السور ، واندفعوا داخل المدينة يكبرون .

وفزع الناس في سائر أرجائها ، وانتشر بينهم خبر المسلمين ، واقتحامهم الباب الشرقي وقتلهم من قابلهم .

عند ذلك أسرعوا إلى سائر الأبواب ، ففتحوها وصالحوا أبا عُبيدَة ، فأمنهم ، ودخل من باب الجابية ، ولا علم له بما فعل خالد !

فلما عرف ما يجري من سفك الدماء ، بعث إلى خالد ان يكف عن القتال ، فقد صالح الناس وأمّنهم .

فلم يكن بدٌّ لخالد من أن يسمع لأمره .

وهكذا تم فتح دمشق الخالدة ..

ومن يومها ودمشق إحدى عواصم الإسلام الكبرى !

وفرض الصلح على أهل دمشق جزية ، يدفعونها لقاء منعهم ، وحرية عقيدتهم ، وحماية مدينتهم واموالهم .

وكانت هذه الجزية ديناراً ، وكيلاً معيناً من الحنطة على كل رأس ، وزيتاً ، وخلاً لقوت المسلمين .

هذا خلا الضرائب التي كان الدمشقيون يدفعونها لحكامهم من الروم ..

فقد ظلوا يدفعونها لمن قام على حكمهم من المسلمين .

دمشق تحت الحكم العربي ؟

واستقر المسلمون بعاصمة الشام ، وجلت عنها حامية هرقل ، وجلا عنها المتعصبون للروم من اهلها .

فماذا كانت سياسة المسلمين في إدارتها ؟

نفس السياسة التي رسمها أبو بكر في عهده ، حين بعث خالد ابن الوليد يفتح العراق .

تركوا لأهل دمشق ما كان لهم من إدارة مدينتهم ، واقاموا الأمر فيها على الأساس الذي صوره خالد في كلمته لبعض أهل العراق :

« إن كنتم عربا فماذا تنقمون من العرب ؟ وإن كنتم عجما ، فماذا تنقمون من الانصاف والعدل ؟ »

هذا هو الأسلوب السياسي الحكيم الذي حكم به اولئك الأماجد البلدان المفتوحة ..

إحدى اثنتين .. إما أنكم عرب ، فنحن إخوة ، لا ننقم حكم أنفسنا لأنفسنا .. وإما أنكم غير عرب ، فنحن نحكمكم بالانصاف والعدل .

الانجيل والقرآن في معبد واحد !

وكان هناك جانب من دمشق فتح عنوة فكان كله حقاً للمسلمين ..

على حين فتح جانب منها صلحاً ، فوجبت عليه الجزية دون

سواهـــا ..

ولذلك أخذ المسلمون نصف ما في المدينة من كنائس ومنـــازل وأموال بحكم الفتح صلحـاً .

وتقاسم المسلمون مع اهل المدينة الكنائس والمنازل والأموال .

فاخذ المسلمون سبع كنائس من الكنائس الأربع عشرة القـائمة بدمشق ..

وقسموا الكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس يوحنـــا المعمدان ، فتركوا نصفهـا للنصارى يقيمون فيـه صلواتهم ، ويتلون فيـه الانجيـل ..

وجعلوا النصف الآخر مسجداً للمسلمين يتلى فيه القرآن ، ويذكر فيه اسم الله ، وينادى من فوقه للصلاة !

وظلت هذه القسمة العجيبة نحواً من ثمانين سنة !

حتى صالح عمر بن عبـد العزيز نصارى دمشق على أن يعطوهم جميـع كنائس الغوطة ، ويتركوا ما كان لهم من كنيسة يوحنـــا .

فرضي النصـارى ..

وأقر عمر بن عبد العزيز هذا الاتفاق !

حـادثة عجيبة ..

وأعجب منهـا أن تنشطر الكنيسة شطرين ، شطر مسجد ، وشطر كنيسة .. وأن تؤدى عبادات الاسلام في هذه ، وتؤدى طقوس النصارى في تلك !

مبنى واحد ، فيه دينان عـالميان !

وذلك أسلوب من سياسة عمر بن الخطاب الدولية ، تلك السياسة التي بلغت الغاية من سمو العقائد ، وحرية العبـــادة ، وحرية الحيـاة !

كان يمكن أن يقهر الغزاة أهل دمشق على ما يريدون ، وأن يجعـلوا الكنيسة كلهـا مسجداً ..

ولكن أصحاب رسول الله .. ليسوا كذلك ، إنهم أصحـــاب رسالة سماوية ، تؤمن بحرية العقيدة ، وحرية الانسان !

وأعجب من هذا ، وأعجب أن يظل ذلك الاتفاق محترمــاً ، ونافذاً ، ثمانين سنة !

*

الضرائب بنسبة رأس المال !

وأبلغ أبو عبيدة عهد الصلح عمر بن الخطـاب ، فكتب اليـه بتعديـله .

وذلك بان فرّق بين الطبقات في الجزية ، فجعلها على قدر غنى الغني ، وإقلال المقل ، وتوسّط المتوسط .

هذا ما أمر به عمر أبا عبيدة قائد عام الجبهة الغربية .

وهو يدل دلالة قاطعة على تمكن حاسة العدل من نفس عمر .

إنه أبى أن يسوي بين تبعات الأغنيـــاء والفقراء ، في دفع الضرائب .

وإنما فرضها بنسبة رأس المال ، وجعلها ثلاث شرائح .

شريحة الاغنياء ، شريحة الطبقة المتوسطة ، وشريحة الفقراء .

وعمر في هذا فوق ما قرره من عدالة فرض الضرائب ، يعتبر أسبق إنسان إلى عدالة الضرائب .

تحرك بعض القوات الى الجبهة الشرقية ؟

وكان مما حوى الكتاب الذي ارسله عمر إلى أبي عبيدة ، بتعديل فئات الجزية ، أمراً اليه برد القوات التي جاءت من العراق مع خالد بن الوليد ، لتعزيز جبهة الشام ، إلى العراق ثانية ، على أن يظل خالد بالشام .

وعلى الفور أمّر أبو عبيدة ، هاشم بن عُتبة على جند العراق وجعل معه القعقاع بن عمرو ، وامثاله ، من اولي النجدة والبأس ، وعوضهم عمن استشهدوا في وقائع الشام جنداً ، يعدل الجند الذي جاء من العراق عدداً وقوة .

وخرجوا جميعاً يقصدون المثنّى وقواته بالعراق .

★

ابادة ٨٠ الفـاً ؟!

انطلقت قوات المسلمين بالشام ــ الجبهة الغربية ــ لتخوض معركة ثانية مع قوات الرومان .

وسارت هذه القوات جميعاً ، فعبرت اليرموك ، حتى إذا بلغت فحْل ، عسكرت بها ، فوقفت امام الرومان ببيسان .

وكان الرومان أمامهم يقفون في ثمانين الفاً ، اشد ما يكونون حرصاً ، على أن يظفروا بأولئك الذين قضوا على قواتهم باليرموك ، وفتحـوا عليهم دمشق .

ولما طال وقوف المسلمين عند فِحْـل ، خيل إلى قائد هرقـل على قواته العظيمـــة ، أنه يستطيع أن يبغت المسلمين ، ويقضي عليهم ، وهم على غفـلة !

فلما اقبل الليل ، تخطى بجيوشه مكاناً منـــاسباً للعبور ، وقـد تأكد عنده أن المسلمين قد أمنوه ، فهم على غير استعـداد للقتـال .

إلا أن شرحبيل ــ قـــائد قوات المسلمين ــ كان رجلاً علمه

القرآن الحذر ، وكان رجاله كلهم ذلك الرجل الحذر اليقظ ، الذي لا يامن مجيء الرومان في أي وقت من الأوقات .

وكان شرحبيل لذلك لا يبيت ولا يصبح ، إلا على تعبئة تامة .

فما أن هجم الرومان هجمتهم ، حتى تلقاهم المسلمون ، وقاتلوهم أشد القتال !

واستبسل الرومان مستقتلين ..

وطالت المعركة الليل كله ..

واستمرت اليوم الذي يليه إلى الليل .

فلما أظلم الليل خارت قوى الرومان ، فاضطربت صفوفهم ، فانهزموا وهم حيارى ، بعدما أصيب قائدهم ، ومن معه من القواد ..

وانطلقوا يفرون ، فتلقتهم الأرض الموحلة ، فتعذر عليهم السير فيها ..

ولحق بهم المسلمون ..

وكانوا يظنونهم ينسحبون على نظام ، فاذا هم في اضطرابهم لا يستطيعون سيراً ولا فراراً .

وركبهم المسلمون ، فوخزوهم بالرماح ، والقوهم في الوحل ، وقتلوهم شر قتلة .

فقتل الثانون الفاً ، من الرومان .. لم يفلت منهم إلا الشريد !

وكذلك انتصر المسلمون نصراً عظيماً ، وغنموا غنائم عظيمة !

وكتب أبو عبيدة إلى عمر ، امير المؤمنين ، يبشره بالنصر ، وبانه سيسير ومعه خالد بن الوليد إلى حمص .

تلك هي معركة بيسان .. التي ابيد فيها ثمانون الفاً من الرومان .

فماذا نستنبط منها ؟

يجب علينا دائماً ان نحذر اعداءنا ، وان لا نغفل لحظة من نهار أو ليل .

وأن نكون على أسلوب آبائنا من اليقظة والحذر .

فلو ان الرومان فاجأوا المسلمين وهم غافلين ، لأبادوهم إبادة تامة ، ولكنهم وجدوهم على استعداد للقتال ، فانقلبت المعركة وبالاً عليهم .

لذلك ينبغي ان نكون دائماً في حالة « انتباه » .. ليس فقط القوات العسكرية ، وإنما كل الأمة ، قادة وشعباً ..

يجب أن نكون على حذر ، وأن نستعد للعدو ..

ولنذكر قول الله تعـــالى :

﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وَدّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ .

ثم ماذا ؟

ثم علينا ان نشمخ بانوفنا إلى السماء ، إذا قام في الدنيا من يفاخر بامجـاده ..

نشمخ ونقول :

ها هي معركة بيسان .. ابدنا فيها ثمانين الفا من الرومان !

سياسة المسلمين العليا

وتتابعت البلاد ، بعد معركة بيسان ، وهزيمة الرومان الساحقة فيها ، تستسلم للفاتحين .

فطلبت طبرية الصلح إلى القائد العربي ، على أن يدفعوا الجزية

ديناراً عن كل نفس كل سنة ، وكيلاً معيناً من البُرّ ، عن كل قدر معين من الأرض .

واحتذى مثالهم كثير من البلاد .

وخضعت الأرض لسلطان المسلمين .

فماذا كانت سياسة الفاتحين في تلك البلاد ؟

اقاموا الجند في المدينة ..

ثم تركوا لأهلها إدارة شؤونها ، على ان يتولوا هذه الإدارة بالعدل والانصاف ..

وتلك هي السياسة العليا للدولة الاسلامية في البلاد المفتوحة ..

إنهم جاءوا اليها دعاة لا فاتحين ..

وهداة لا مستعمرين .

فان اسلموا ، كان لهم ما للفاتحين ، وعليهم ما على الفاتحين ، امة واحدة .

وإن أبوا ، فالجزية ..

وهي ضريبة دفاع بلغة العصر الحديث ، يستعين بها المسلمون على نفقات الجيوش ، التي تحمي تلك البلاد ، وتقر الأمن فيها ..

ويترك ما سوى ذلك، من الحكم الداخلي لأهل البلاد ، فهم ادرى بما فيهـــا .

سياسة بسيطة .. إلا انها عالية ، رفيعة ، ادت في النهـــاية إلى استسلام تلك البـــلاد ..

ثم إسلامها عن طواعية !

القائد العام الجديد ...
« أبو عُبيدَة »

والقائد العام السابق ...
« خالد »

يتسابقان الى النصر ؟!

فرار امبراطور الرومان !

في الوقت الذي أتم فيه سعد بن أبي وقاص تدمير الامبراطورية الفارسية ، وانصرفت الدولة الجديدة تنظم شئون الامبراطورية المتداعية المتلاشية ..

كان ابو عُبَيْدَة بن الجرّاح وزملاؤه بالشام يتقدمون فيه ويفتحون مدنه ، ويجلون الروم عنه ..

واندفعت جيوش المسلمين تفتح الشام شمالاً وجنوباً وشرقاً .

وسار ابو عبيدة من اللاذقية ــ بعد أن فتحها ــ إلى معرّة حمص ففتحها ، ووجه خالد بن الوليد منها إلى قِنَّسرين كورة ولاية حلب .

وخرج ميناس ، اعظم رجل في المملكة بعد هِرَقل ، على رأس جيش عظيم ، ليصد المسلمين عن التوغل في ملك قيصر .

وبعث رجالاً من أهل ثقته يتنطسون اخبار عدوه ليدير على ضوئها خطة لقائه .

وبينما هو يتنسم أخباره .. فجاءه خالد مع الصبح ، من حيث لا يدري .

وحاول ميناس أن يصد هذه المفاجأة .. ولكن خالداً كان قد أحكم تدبيره ، فهاجم الروم بكل قوته ، فلم يستطيعوا الصبر أمــــامه !

وحاولوا الفرار ، فإذا خالد قد أخذ عليهم مسالكه ، فامعن جنده فيهم قتلاً ..

فمات أكثرهم على دم واحد .. وتردى ميناس على رأسهم يتخبط في دمــه !

..

لو كنتم في السحاب ؟

ولجأ الذين فروا إلى قنسرين وتحصنوا بها ، فتبعهم خالد اليها ، فالفاهم غلقوا أبوابها .

عند ذلك بعث اليهم خالد النذير يقول :

« لو كنتم في السحاب ، لحملنا الله اليكم ، أو لأنزلكم الينا » !

وقاومت المدينة زمناً ، ثم تضعضعت أمام خالد بن الوليد ، ونزلت على حكمه .. وبعثوا يطلبون الأمان على صلح حمص .

فأبى سيف الله المسلول ، ورأى أن يعاقبهم ، بما قاوموا ، وأبى إلا تخريب المدينة ..

فماذا كان من أهلها ؟

فروا إلى انطاكية ، تاركين أموالهم ونساءهم وأبناءهم ..

وهكذا كان خالد بن الوليد ، وكان الذين معه ، ما دخلوا معركة إلا انتصروا فيها ، لأنهم صدقوا الله ، فصدقهم الله .

أمّر خالد نفسه !

وكتب ابو عبيدة إلى عمر ، بأعاجيب خالد بن الوليد ..

وقضائه على ميناس وجيشه ..

واقتحامه قنسرين على منعتها .

وقوله لأهلها :

« لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم ، أو لأنزلكم الينا » .

وعجب عمر من عبقرية خالد الحربية ، وشجاعته الفائقة ، وما كان منه من معجزات ، فاقت مواقفه في دمشق وحمص ، وما سواهما من البلاد التي فتحها المسلمون .

وقال عمر :

« أمر خالد نفسه ! يرحم الله أبا بكر ! هو كان أعلم بالرجال مني ! »

ثلاث تعبيرات متواليات غاليات .. كأنما ينطق عمر بالحق متتابعاً !

أمّر خالد نفسه ؟

اعتراف من عمر أن خالد إن لم يؤمره ، ففعاله تؤهله لأن يكون اميراً على اي جيش هو فيه .

يرحم الله أبا بكر ؟

ود وصفاء وحب لمن سبقه في الحكم .. أين هذا الخلق من اخلاق ساسة العصر الحديث ، حين يقف الرجل منهم يكيل الشتائم ، ويسب

من سبقه سبأ اليمأ ؟

كان أعلم بالرجال مني ؟

ثم تواضع عجيب من عمر .. حين يتهم نفسه بالجهل باقـدار الرجال ، ويعترف أن أبا بكر أعلم منه بالرجال !

وهذه هي الاخلاق ..

ولمثل هذا فليعمل العاملون ..

وليست الأخلاق ، أن تسب من سبقك في الحكم ، او تبني مجدك على أشلاء غيرك ..

كلا .. إنما الأخلاق أن تحب النـاس ، وتعترف بحسناتهم ، وتتواضع لهم ، ثم تحاول أن تبني جديداً ، أو تتم ما بدءوه من أنواع الخير .

ابو عبيدة ينشر العدل والرحمة ؟

فلما جاء ابو عُبيدَةَ قنسرين ..

وعرف ان اهلها طلبوا الصلح والأمان ، وان خالداً أبى ذلك

عليهم .. رأى فيما أراد خالد ان يجزيهم به عدلاً .. فهدم حصون المدينة واسوارها .

إلا ان أبا عبيدة دائماً تسبق رحمته غضبه ، فرأى ان يقرن إلى العدل الرحمة ..

فأجاب اهل المدينة إلى الأمان والصلح الذي طلبوا ..

فاقيم مسجد على بقعة من أرضها ، وترك ما سوى ذلك لأهلها كما كان !

فعاد الذين فروا ، وقد رضوا أداء الجزية .

وامر أبو عبيدة فأحسنت معاملتهم ، كما أحسنت معاملة غيرهم في البلاد التي فتحها المسلمون .

وقام العدل بينهم على أساس من المساواة الصحيحة ، وإنصاف الضعيف من القوي .

ثم اتجه ابو عبيدة إلى حلب ، ففتحها هي الاخرى ..

وهكذا دخلت سوريا بمدنها الشهيرة ، تحت حكم الإسلام ، ونعمت هي الاخرى ، بظلاله الوارفة .

أبو عبيدة يفتح انطاكية !

وكانت انطاكية إلى يومئذ عاصمة الامبراطورية الرومية في الشرق ، والمدينة التي تلي فيها مدينة قسطنطين .

وكان اباطرة الروم يؤثرونها على الاسكندرية لقربها منهم .. وكانت الكنائس المسيحية فيها ذات ضخامة وفخامة ، وبلغ ساكنوها مائة الف نسمة .. وكانت مستقر تجارة عظيمة متصلة بين الشرق والغرب ..

من اجل ذلك كان عمر حريصاً على فتحها ، وكان الاستيلاء عليها يعادل فتح المدائن ، وفتح بيت المقدس .

لذلك كان يتلهف على انبائها ، كما كان يتلهف على انباء سعد بن أبي وقاص عن القادسية ..

ولكن هل فكر امبراطور الرومان في الدفاع عنها ، ضد المسلمين الذين يتجهون اليها ؟

كلا .. فقد أثرت الهزائم المتلاحقة في نفسه ، ورأى أنه إذا التقى بالمسلمين في معركة أخرى ، فهي الهزيمة ، والعار إلى الأبد .

فترك المدينة الخالدة ، انطاكية ، ثاني عواصم الامبراطورية ، تدافع عن نفسها .. وفر هو إلى القسطنطينية ، عاصمة ملكه ، حزيناً مهموماً كئيباً !

وسار اليها ابو عبيدة ، وخرج اليه اهلها ، فهزمهم في معركة حامية ، خارج حصونها ، ثم حاصرها من كل جوانبها .. فاستسلمت له ونزلت على حكمه .. وصالحهم ابو عبيدة على الجزية والجلاء ، ورحل عنهم ..

وهكذا سقطت أنطاكية .. العاصمة الثانية للامبراطورية الرومانية !

وأصبحت سوريا كلها جزءاً من الدولة الاسلامية ..

الامبراطور يفر امام ابي عُبيدة !

وبينما كان هرقل يفر إلى القسطنطينية ، حرصاً على حياته ، كانت الامبراطورية تتساقط قطراً قطراً في أيدي المسلمين ..

مر بجبل فصعده ، وأشرف منه على أرض سورية الجميلة ، وقال

والهم يقتله :

– سلام عليك يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولن يعود اليك رومي أبداً إلا خائفاً !!

تماماً كما فر امبراطور فارس امام سعد بن ابي وقاص .. ها هو امبراطور الرومان يفر امام ابي عبيدة ..

إمبراطوريتان ، عظيمتان ، وكتلتان تمثلان العالم كله ، تفران أمام العرب ، الذين لا يملكون شيئاً مما تملكان !

إنه الروح الجديد ، الذي انبعث في هؤلاء الناس !

عُمر يسوي بين الملوك والصعاليك !

رأى جبلة بن الأيهم مصير هرقل ، ورأى قبائل العرب من أهل الشام ، يهرع الكثير منهم إلى الاسلام ، فأيقن أن لا بقاء لملكه إلا أن يسلم ويسلم ذووه معه .

وكتب إلى ابي عبيدة بإسلامه ، وإسلام بني غسّان ، فاغتبط امين الامة ، وأبلغ النبأ امير المؤمنين ، فاغتبط عمر لذلك .

ثم إن جبلة كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه فأذن له .

فخرج إلى المدينة في خمسمائة من أهل بيته ، وأمر عمر النساس باستقباله ..

فلم يبق بالمدينة بكر ولا عانس إلا تبرّجت وخرجت تنظر إلى جبلة وإلى زيه

وكان جبلة قد أمر مائتي رجل من أصحـابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول ، معقودة أذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ..

ولبس جبلة تاجه ، وفيه ُقرْطا مارية َجـدّته .

وأعجب اهل المدينة بذلك كله .

فلما انتهى جبلة إلى عمر ، رّحبَ به ، ولَطَفَ له ، وأدنى مجلسه ..

وأقام جبلة بالمدينة زمناً ..

ثم خرج إلى الحج مع عمر ..

فبينما هو يطوف بالبيت ، وطىء إزاره رجل من بني َفزَارة ، فانحنى فرفع جبلة يده فهشم انف الفَزَاريّ .

واستعدى الرجل ُعمر .

فدعا جبلة وسأله

فاقرّ بما حدث ..

قال عمر : « قد أقررتَ ، فإما أن ترضي الرجل ، وإما ان اقيده منك » .

وتعجب جبلة مما سمع وقال : « وكيف ذلك وهو سُوقة ، وانا ملك ؟ »

قال عمر : « إن الاسلام جمعك وإياه ، فلست تفضلهُ بشيء ، إلا بالتقى ، والعافية » .

قال جبلة : « قد ظننت يا امير المؤمنين ان اكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية » .

قال عمر : « دَعْ عنك هذا ، فإنك إن لم ترْضِ الرجل ، اقدته منك » .

قال جبلة : « إذاً اتنصَّرْ ! » .

قال عمر : « إن تنصّرت ضربت عنقك ، لأنك اسلمت ، فإن ارتددت قتلتك » .

فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : « انا ناظر في هذا ليلتي هذه » .

وكان قد اجتمع بباب عمر من شتى الأحيـــاء خلق كثير .. يعجب بعضهم لحزم عمر ، ويرى بعض فيه شدة ما أغناه عنها .

ويلغ من اختلافهم أن كادت تكون بينهم فتنة .

فلما أمسوا تفرقوا ..

وأذن عمر لجبلة في الانصراف .

وأسرّ جبلة إلى رجاله ، فتحمّلوا بليل إلى الشام ، فـأصبحت مكة منهم خـالية !

وتابع جبلة مسيرته إلى القسطنطينية .. فـدخـل على هرقل متنصّراً هو ومن معه ..

فسُرّ بهم هرقل ، وظن أنه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعـه حيث شاء ، وأجرى عليه ما شاء .

وعاش جبلة في جوار هرقل عيش ترف ولذة ، يعادلان مـا كان له في ملكه بالشام أو يزيدان عليه !

*

تلك هي أقصوصة الرجل ، وإنها لعظيمة الدلالة ، بالنسبة لما يعانيه العالم العربي الآن من أمثال هذا الرجل .

فمن المعلوم أن صاحبنا كان ملكاً عربياً نصرانياً ، ويعيش في ملكه ، ولذاته ، في رحاب قيصر ملك الرومان ..

فلما رأى جيوش المسلمين تكتسح بلاد الشام ، بما فيها ملكه ، فكر تفكير الانتهازيين ، فأعلن إسلامه إلى قائد عام الجبهة الغربية ، أبي عبيدة ، الذي أعلنه بدوره إلى أمير المؤمنين ..

ودخل إلى المدينة دخول الملوك ، وكان منظر موكبه فريداً طريفاً ..

وذهب يحج ..

ووقعت القصة الخالدة ..

داس رجل من الشعب على ملابس المذكور ، فـانحنى الملك من أثرها !!

وهاج هائج الملك ، وثارت في عروقه عصبية الملوك .. فهشم أنف رجل الشارع !

وشكا رجل الشارع إلى عمر ..

فجاء عمر بالملك ، وسأله فأقرّ ..

وحكم عمر في أخطر قضية ..

قضية الطبقات ، قضية الشعوب والملوك ، قضية الصراع الخالد بين الظالمين والمظلومين ..

فماذا كان حكم عمر ؟

كان خالداً .. ما زال يدوي في أسماع القرون :

« قد اقررت ، فاما أن ترضي الرجل ، وإما ان اقيده منك .. »

اي اجعله يهشم انفك كما هشمت أنفه ، بنفس الأسلوب وبنفس الطريقة التي أتممت بها جريمتك !

خلود والله خلود .. يا عمر ..

أين الشيوعيون ، أين الرأسماليون .. أين الدنيا كلها لتنحني امام حكم عمر ، كما انحنى الملك حين داس رجل الشارع على ثوبه ؟

وهنا يشع الاسلام شعاعه الخالد حين يقول :

﴿ .. العينَ بالعينِ ، والانفَ بالانفِ ، والاذنَ بالاذنِ ، والسنَّ بالسنِّ ، والجروحَ قِصاصٌ ﴾ ..

نعم .. ومن هنا اشتق عمر حكمه ، واعلنه في الأرض ، فاهتزت له السماء !

وما كان لعمر ان يحيد عن كتاب الله .. وحاشاه .. وما كان أن يحكم بغير ما اراه الله !

وعظم في صدر الملك أن يسوي عمر بينه وبين الرعـــاع !

ودائماً .. هذا هو منطق اولئك الذين تمنحهم المقـادير فرصة الملك على الناس ، او البسطة في الرزق ، او الارتفـــاع في المناصب .

إنهم يداخلهم الغرور ، ويظنون انهم طبقة غير طبقات الشعوب وانه لا ينبغي ان تسوى القوانين بينهم وبين الجماهير .

لكن عمر .. الذي هو التطبيق الصحيح للاسلام .. نطق بالحق ، وحكم بالعدل .

فماذا كان ؟

قال الملك : وكيف ذلك وهو سوقـــة وانا ملك ؟

هو هو منطق الطبقة المتكبرة الظالمة .. لا يتغير .. ولا يتبدل ، كيف ذلك يا عمر ، وهو سوقـة ، وهو رجـل من الشارع ، وانا ملك عظيم ؟!

إن هذا لشيء عجـــاب يا عمر .. أن تسوي بين الملوك والصعاليك ؟!

وعلى الفور .. نطق عمر بالحق :

« **إن الاسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء .. إلا بالتقى والعافية** » ..

وكان قانوناً خالداً ..

« **لست تفضله بشيء** » ..

إن الاسلام جمعك وإياه ..

إن الاسلام سوى بينكما ، لا يعرف الاسلام عبيداً وسادة ، ولا ملوكاً وصعاليك ، ولا رجالاً فوق القانون ، ورجالا تحت القانون .. كلا .. بل الجميع سواء ، ملوكهم وصعاليكهم !

هذه هي روح الاسلام الصحيحة .. بلا زيف .. ولا التواء .. ولا طمس للحقائق .

فأين المسلمون الآن من تلك الحقائق .. اللهم إننا لسنا على شيء حتى نقيم ما أنزلته الينا من الشرائع .

وانا اتحدى جميع الدول ، وجميع الشعوب ، وجميع الأنظمة ، أن يضعوا يدي على حادثة واحدة في حياتهم ، تشبه تلك الحادثة في حياة عمر ..

فإن قالوا : ليس في حياتنا شيء كهذا ..

قلنا لهم : ولكن حياة عمر كلها هكذا .. حوادث يعلو فيها الحق ، ويرتفع فيها العدل ، ويتلألأ فيها الخير .

بل عندنا من هذا كثير .. كثير جداً ..

ثم ماذا من تلك الأقصوصة التي يجب على الشعوب ان تتغنى بها ، وتتخذ منها شعارات ترفعها ..

يقول الملك : قد ظننت يا امير المؤمنين ان أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية !

نفس منطق الطغاة ..

يتخذون الأديان سلماً لتحقيق مطامعهم ؛ فإن لم تسعفهم بما يشاءون من مغانم ومكاسب نبذوها !

لقد دخل الرجل الاسلام ابتغاء العزة ، لينهب نصيبه من عظمة الاسلام الدولية .. فلما رأى الأمر جداً لا هزل فيه .. اطلق لساقه الريح .. وارتد كما كان !

ونحن نعاني اليوم من امثال هذا الرجل عناء كبيراً ..

هؤلاء المرتزقة من السياسيين ، واصحاب المصالح ، الذين يناهضون كل محاولة للاصلاح في المنطقة ..

لماذا ؟ لأنهم اصحاب مصالح مع المستعمر .. لأنهم سادة ما بقي

الاستعمار ، وليسوا سادة إذا ذهب الاستعمار !

هؤلاء الذين لا صلة لهم بالاسلام إلا بقدر ما يحققه لهم الاسلام من مكاسب .. فإن لم يحقق لهم كسباً فهم أعداء للاسلام ، في خفاء أو علانية !

ابادة مائة الف !

بينما كان أبو عبيدة يسير مظفراً في شمال الشام ، كان عمرو ابن العاص ، وشرحبيل ، يواجهان قوات الروم التي اجتمعت بفلسطين ، ويجاهدان للقضاء عليها .

وكانت هذه القوات عدداً عظيماً ، يقودها اخطر قواد الرومان وأدهاهم ، ويسمى اطربون .

وكتب عمرو إلى عمر ..

فأمر امير المؤمنين يزيد بن أبي سفيان ان يوجه اخاه معاوية إلى قيسارية ليفتحها ، فينقطع المدد الذي يأتي إلى اطربون عن طريق البحر ..

والتقى معاوية بأهل قيسارية ، وكانوا قوة هائلة ، وقاتلوا

مستميتين .. إلا ان النتيجة دائماً معروفة ..

فقضى معاوية عليهم حتى كانت قتلاهم في المعركة ثمانين الفاً ؛ بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة الف !

وسقطت قيسارية ؛ وامتنع المدد عن اطربون عن طريق البحر ..

ثم استولى العرب على ميناء غزة .. ففقد اطربون كل امل في مدد يأتيه من جهة الموانىء !

رميتنا اطربون الروم
بأطربون العرب ؟

ووضع عمرو ، داهية العرب خطته ، وأحكم تكتيكه ، وكتب إلى عمر يخبره بدهاء اطربون ، وخطورته ، ووصف له من قوة الروم وعُـدّتهم .

فأمر عمر بإمداد عظيم ..

فارسل إلى عمرو !

ونظر عمر في كتاب عمرو ، وابتسم لصفته أطربون بالدهاء والمكر ..

وقال لمن حوله :

« قد رمينا أطربون الروم بأطربون العرب فانظروا عمّ تنفرج ؟ »

هذا ادهى الخلق !

وجاءت الامدادات الحربية إلى عمرو ، فبعث بعضاً منها إلى إيلياء والرملة .. ثم سار في القوى الكبرى لجيشه يلقى أطربون بأجنادين .

ووجد عمرو الروم في حصون وخنادق ومنعة .

فمكر عمرو مكراً عجيباً .. وبعث رسلاً من عنده يتفاوضون في الصلح ، وأسر اليهم أن يوافوه بمداخل العدو وعوراته .

ولكن الرسل لم تَشفِه .. فآثر ان يتولى الأمر بنفسه !

وتفكر عمرو .. وسار إلى أطربون .. ودخل عليه كأنه رسول !

وتامل عمرو حصونه ، وعرف منها ما أراد .

وتحدث الرجلان .. فارتاب أطربون في شخص محدثه ، وقال في نفسه :

« والله إن هذا لعمرو ، او إنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لاصيب القوم بأمر اعظم عليهم من قتله .. » !

ثم دعا جندياً من رجال حرسه ، فاسر اليه إذا مر العربي بمكان بذاته أن يقتله

وأدرك عمرو إلى أن في الأمر كيداً ..

فقال لأطربون :

« قد سمعت مني وسمعت منك ، فاما ما قلته فقد وقع مني موقعاً ، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا لنكاشفه ويشهدنا أموره ، فارْجعُ فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى فقد رآه اهل العسكر والامير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مامنهم وكنت على رأس امرك » .

سمع اطربون هذا القول ، فبدأ يشك في ظنونه ، واسترجع الحارس الذي أسرّ اليه بقتل العربي.

وقال اطربون لعمر :

« انطلق فجيء باصحابك » ..

وحرج عمرو مسرعاً إلى عسكره ، لا يلوي على شيء ، ولا يظن أن يعود لمثلها .

وعرف اطربون الأمر ، فقال : « خدعني الرجل ، هذا ادهى الخلق » !

وبلغ النبأ إلى عمر ..

فقال : « غلبه عمرو ، لله عمرو ! »

هذا نوع من الرجال الذين حملوا دعوة الاسلام وبلغوا بها مشارق الأرض ومغاربها ..

نوع ممتاز .. عباقرة .. تجد فيهم العظمة من اطرافها .. عبادة ، حرب ، مكر ، دهاء ، سياسة ، شجاعة ، كرم ، عزة ، وفاء .. كل مقومات العظمة تجدها في اصحاب محمد .. صلى الله عليه وسلم !!

وهذا هو عمرو .. وهذا نموذج من دهاء عمرو ، وكيف لعب بقائد الرومان ، وعبث به كأنما هو كرة قدم يدحرجها كيف يشاء ..

ذلك هو الصنف الذي يصلح لحمل الاسلام ..

إن الاسلام في حاجة إلى رجال ، لا إلى أعداد هائلة من البشر وكفى .. وإنما نحتاج إلى مثل عمرو ، وخالد ، وسعد ، والقعقاع .. اولئك الممتازون !

اجنادين ؟

والتقى الجمعان ..

عمرو وجيوشه .. وأطربون وجيوشه .

وبلغت شدة بأجنادين ما بلغت باليرموك ، وكثرت القتلى من الجانبين ، وترجح النصر زمناً بينهما .

ودائماً .. كان المسلمون اكثر صبراً وثباتاً .

فلما آذنت الشمس بالمغيب ، رأى أطربون صفوفه تضطرب ، ورجاله يسري فيهم الاعياء .

فانسحب بجيوشه متقهقراً إلى ناحية بيت المقدس ..

ثم رأى اطربون الموقف ميئوساً منه ..

وأن مدينة بيت المقدس صائرة لا محالة إلى ايدي المسلمين ..

فانسحب بقواته إلى مصر ..

وترك من ورائه المدينة المقدسة .. تنتظر مصيرها المحتوم !!

ابو عُبيدَة ...

يشهد استلام عُمر ...

لبيت المقدس ؟ !

مجلس الشورى يجتمع !

وحاصر عمرو بجيوشه بيت المقدس شهوراً ، واشتدت مقاومة المدينـــة ، حتى كتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول :

« إني اعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً ادُّخِرَتْ لك ، فرأيك » ..

وقرأ عمر كتاب عمرو ، على المسلمين بالمسجد ، واستشارهم فيـــه ..

ورأى عثمان بن عفان ألا يبرح عمر المدينة :

« فـــأنت إن اقمت ، ولم تَصِرْ اليهم ، راوا انك بأمرهم مستخف ، وللقتالهم مستعدّ ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على الصَّغَار ، ويُعطوا الجزية » ..

وعارض علي بن أبي طالب رأي عثمان ، وأشار على عمر بالسير

إلى إيليـاء :

« فقـد اصاب المسلمين جهد عظيم ، من البرد والقتـال وطول المقام .. فاذا انت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح . ولست آمن ان ييأسوا منك ومن الصلح ويُمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطـــاغيتهم ، لاسيا وبيت المقدس معظّم عندهم واليه يحجون » ..

واخذ عمر برأي عليّ ، فانابه على المدينة ، وأمر الناس بالاستعداد للسير معـه ..

موكب عمر !

وسار عمر على رأس الجيش الذي اجتمع له ، من المدينـة حتى نزل الجابية .

وكان قد كتب إلى أمراء الجيوش في الشام ، ان يوافوه بها ليوم سمّاه لهم ، وان يستخلفوا على اعمالهم .

فكيف كان عمر ، في طريقه إلى الشام ؟

ليت الناس كلهم يجتمعون ليشهدوا أعجب منظر في التاريخ ..

موكب عمر ، حاكم اكبر امبراطورية يومئذ .. الامبراطورية التي ابتلعت الكتلتين اللتين كانتا هما العالم القديم ..

قالوا : سار عمر على بعير له ، جعل عليه غرارتان ، في إحداهما سويق ، وفي الأخرى تمر !

وبين يديه قربة مملوءة ماء ، وخلفه جفنة للزاد !

ومعه جماعة من الصحابة ..

وكان يقرب لهم جفنته في الصباح فيأكلون معه !

ثم ماذا ؟

وكان يعلم المسلمين الذين يمر بهم ، وينهاهم عما يخالف دينهم مما كانوا يقترفونه عن جهل .

واراد عمر دخول بيت المقدس وعليه مرقعة من صوف فيها أربع عشرة رقعة بعضها من أديم ..

فقال له اصحابه : لو ركبت بدل بعيرك جواداً ، ولبست ثياباً بيضاء !

وفعل ..

وطرح على عاتقه منديلا من كتان دفعه اليه أبو عُبَيدَة !

وقدم له برذون ركبه ، فلما رآه يهملج به نزل عنه ! وقال لأصحابه :

– اقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة ، فقد كاد أميركم يهلك بما دخل قلبي من العجب والكبر !

ثم نزع ما كان عليه ، وعاد إلى لبس مرقعته !!

ما هذا يا عمر ؟!

أأنت فعلت هذا ، والدنيا بجذافيرها تحت قدميك ، وقوادك يفتحون ما يشاءون من أقطارها ؟

تالله إن هذا لهو الزهد الحق يا عمر !

وأي كبر ، واي عجب في ركوبك للبرذون يا عمر ؟ وما هذا البرذون ، وما قيمته حتى يثير في نفسك الكبر والعجب ؟

ثم هذا المنديل الذي طرحته عن عاتقك .. هل هذا شيء يثير العجب .. وانت تملك العالم كله يا عمر ؟

أبداً .. وإنما هي العظمة ، عظمة المقربين الذين يتنزهون عن الجائز ، اجلالاً لله واعظاماً لحقه سبحانه على عباده !

اين هذا مما يفعله الملوك ورؤساء الدول ، حين يجوسون خلال ممالكهم ودولهم ، في أسراب من السيارات الفاخرة ، والمواكب

الباهرة ؟

ولكن معذرة .. فلا وجه للمقارنة بين هؤلاء وبين عمر !

وصف تفصيلي للموكب !

قالوا : قدم عمر بن الخطاب الجابية عن طريق إيلياء على جمل اورق ، تلوح صلعتـــه للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة .. تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب .

وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف .. هو وطـاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل !

حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفاً ! هي حقيبتـه إذا ركب ، ووسادته إذا نزل !

وعليه قميص من كرابيس ، قد رسم ، وتخرق جنبه !

فقال : أُدْعوا إليّ رأس القوم ..

فدعوا له الجلومس ..

فقال : اغسلوا قميصي ، وخيطوه ، واعيروني ثوباً أو قميصاً !

فاتى بقميص كتــان ..

فقال : ما هذا ؟

قالوا : كتان .

قال : وما الكتان ؟

فأخبروه ، فنزع قميصه ، فغسل ، ورقع . وأتي به ، فنزع قميصهم ولبس قميصه !

فقال له الجاومس : انت ملك العرب ؛ وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً ، لكان هذا أعظم في أعين الروم

فماذا كان جواب عمر ؟

قال : نحن قوم اعزنا الله بالاسلام ، فلا نطلب بغير الله بديلا » ..

فاتى ببرذون ، فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحـــل ، فركبه بهـا .

فقال : احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هـذا ..

فـاتي بجمله فركبه .

وقالوا : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فـنزل عن بعيره ،

ونزع خفيه ، فامسكهما بيده ، وخاض الماء ومعه بعيره !

فقال له ابو عُبيدَة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند اهل الارض ، صنعت كذا وكذا .

فصك عمر في صدره .. وقال : او لو غيرك يقولها يا ابا عبَيدة إنكم كنتم أذل الناس ، واحقر الناس ، واقل الناس ، فـــأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله !

يا للعظمة يا عمر ! إنك ترتفع .. حتى على مقام ابي عُبيدَة .. ارتفاعـاً بعيداً !

مهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله ..

فليسمع العالم الاسلامي ، وليسمع العالم العربي .. مهما حاولوا العزة الدولية بغير تطبيق الاسلام في مجتمعـــاتهم وامرهم كله ، يذلهـم الله !

وهذا القول من عمر ، ينبغي ان تدرسه الجماهير والحكومـات المسلمة ، وأن نراجع انفسنا على اساس منـه .. فعمر ينطق بالحق دائمـاً .. وكلامه خالد خلود الحقائق .

ولقد جربت الأمم الاسلامية ، محاولة النهوض من كبوتهـــا ، والوقوف من تخلفهـا ..

فارتدت خاسئة وهي حسيرة .. ذلك أنها التمست العز بغير الاسلام فلم تزدد إلا ذلاً .

ولو أنها تنادت فيما بينها بالاسلام ، لالتأم شملها ، واتحد افتراقها ، وانطلقت في المجال الدولي كتلة واحدة لها دينها ، ولها سياستها المستقله ، لا شرقية ولا غربية .

آه .. لو عقل الساسة قولك يا عمر ..

ثم آه !

معاهدة بيت المقدس !

فلما عرف قواد عمر مقدمه إلى الجابية . ساروا اليه يتقدمهم يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد ، على الجند في عرض يأخذ بالأبصار !

ورآهم عمر مقبلين ، عليهم الحرير والديباج ، فغلي الدم في عروقه لمرآهم ، فنزل عن فرسه ، واخذ الحجارة ، ورماهم بها ، وصاح مغضباً :

« سَرُعَ ما لُفِتُّم عن رأيكم ! إياي تستقبلون في هذا الزي !

وإنما شبعتم منذ سنتين ! وبالله لو فعلتم هذا على رأس المـــائتين لاستبدلت بكم غيركم » .

إن عمر يثور اشد الثورة ، ان رأى قواده الذين دوخـــوا الروماں ، عليهم مظاهر العز والفخفخة !

واعتذروا اليه جميعاً وقالوا : « يا أمير المؤمنين إنها يلامقة ، وإن علينا السلاح » .

ورأى عمر سلاحهم ، فخفف مرآه من ثورة غضبه ..

فقال : « نعم إذاً ! »

وركب ، حتى دخل الجابية ، وسار القوم في صحبته .

شخصية عجيبة ذلك الرجل ..

لا يريد حتى أن يرى قـادة جيوشه في شيء من البحبوحـة والزينـة ..

إن له فلسفة في ذلك .

إنه يريدهم دائمـاً في خشونة وبساطة ، ومتى كانوا هكذا نصروا على اعدائهم ، أما إذا أترفوا كترف اعدائهم ، فما هو الفـــارق بينهم إذاً ؟

مثال صادق لشريعـة الله ..

ونزل عمر بمعسكر الجابية .. وجـــاءت رسل صفرنيوس ، أسقف بيت المقدس ، يتمون الصلح مع امير المؤمنين .

وصالحهم عمر على صلح دمشق ، بل على صلح اكثر منه سخاء ، وكتب لهم معاهدة هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..

« هذا ما أعطى عبدالله ، عمر ، امير المؤمنين .. أهل إيليـاء من الأمان .. أعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئهـــا ، وسائر ملتها ، إنه لا تُسكَنُ كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم .

« ولا يُكرَهون على دينهم ، ولا يُضارّ احد منهم ، ولا يسكن بايلياء (بيت المقدس) معهم أحد من اليهود .

« وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

« وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

« ومن احب من اهل إيلياء ان يسير بنفسه ومـــاله مع الروم ، ويُخلي بيعهم وصُلبهم ، فـــإنهم على أنفسهم وعلى بِيَعهم

وصلبهم حتى يبلغوا مـــأمنهم ..

« ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل إيليـــاء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، وإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصَد حصادهم ..

« وعلى مـــا في هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية » .

ووقع عمر على المعاهدة ..

وشهد عليها خـــالد ، وعمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية ..

ورجع رسل صفرنيوس بالمعاهدة إلى القـدس ، فسر الأسقف سروراً عظيماً ..

وساد الفرح أهل المدينة جميعاً ..

كيف لا وقد اعطت المعاهدة للجميع حرية العقيـدة ، وحرية الاقامة ، وحرية الخروج من المدينة ، وحرية اللحاق بالرومان ، وحرية الحياة مهما تنوعت ، ومهما تعددت ؟

وتجلت عبقرية عمر ، عبقرية الاسلام ، واضحة أشد ما تكون في تلك المعاهدة .

اعطاهم عمر حق الحياة ، وحق الاعتقاد ، وحق الاقامة ، وحق الهجرة ، وحق الاختيار ، وحق الأمن والاستقرار .

وهذا هو الاسلام في معاهداته ، وفي المجـــال الدولي .. حرية ، ووفاء ، واحترام للعهود ، واحترام للعقائد ..

لا إكراه في الدين .

لقد خلص النصارى بيت المقدس من سخـافـات حكم المسيحيين أنفسهم بتلك المعاهدة .

أين هذا مما كان يريد هرقل أن يُكره عليه اهـل القدس من ترك مذهبهم إلى مذهب الدولة المسيحي الرسمي ، فمن أبى جُـدع أنفه ، وصُلمت اذناه ، وهُدِم بيته ؟

وأنا ارفع تلك المعاهدة في وجوه اهل العصر الحديث ، اياً ما كان مذهبهم السياسي او الاقتصادي أو العقائدي ..

واقول لهم :

ـ ادرسوا هذه المعاهدة ، وقارنوها بمعاهدات الصلح التي عقدتموها مع غيركم ، في تاريخكم الطويل ، وحروبكم العديدة .. وسوف تجدوا أنها شيء فوق عقولكم ، وفوق شهواتكم ، وفوق تفكيركم .. شيء عال رفيع ، لا يستطيعه إلا عمر ، إلا من اهتدى بهدى الاسلام ، واستنار بنوره .

لقد اعتبرها عمر مدينة دولية ، لها كل الحرمـــات ، وكل القداسات .. لأي إنسان من اهل الأرض ان يقيم بها ، او يرحل عنها في حرية تامة عـامة ..

وهذا هو الاسلام في المحيط الدولي ..

وتلك هي سماحته ، وهذه هي نظرته إلى الحرية واحـترامـه لحقـوق الانسان ..

عمر يدخل بيت المقدس !

امتطى امير المؤمنين فرسه ، ودخل به بيت المقدس ، ومعه عدد من قواده ..

وتلقاه البطريق صفرنيوس وكبراء المـــدينة ، وتلطف بهم وأدناهم ، وتحدث اليهم حديثاً ادخل محبته في قلوبهم .

ورأى أئمـــة المسيحية ، وقادة الرومان ، رجلاً لا عهد لهم بمثـله ..

صدق ، عدل ، بساطة ، رحمة ، انكسار لله .. وذكروا جبروت قيصر ، وعسفه ، فمالت قلوبهم إلى عمر ميلاً شديداً .

إلا انهم محترفة مرتزقة ، لا يعدلون بمناصبهم شيئاً من تكاليف الحق وتضحياته ..

وجاء المساء ، وانصرف القوم ، وخلا عمر بنفسه .. فقام يصلي من الليل طويلاً ، شكراً لله على ما أنعم به عليه .

فلما اصبح جاءه صفرنيوس ، وسار معه خلال المدينة ، يشرح له من آثارها ، وكم لها من آثار !

وبينما الرجلان بكنيسة القيامة ، ادرك عمر موعد الصلاة .. فطلب البطريق اليه ان يصلي بها ، فهي من معابد الله ..

إلا ان عمر اعتذر ، بأنه إن يفعل يتبعه المسلمون على تعاقب القرون ، إذ يرون عمله سنة مستحبة ، فإذا فعلوا اخرجوا النصارى من كنيستهم ، وخالفوا عهد الامان .

واعتذر للسبب نفسه عن الصلاة بكنيسة قسطنطين المجاورة لكنيسة القيامة ..

وكانوا قد مدوا له عند بابها بساطاً يصلي عليه ، وإنما صلى في مكان قريب من الصخرة المقدسة على أطلال هيكل سليمان ..

وفي هذا المكان شيد المسلمون بعد مسجداً فخماً ، هو المسجد الأقصى ..

اما في عهد عمر ، فقد كان هذا المسجد بسيط البناء كمسجد

النبي صلى الله عليه وسلم .. بالمدينة يوم أقيم ..

لا اكراه في الدين ؟

ووضع عمر برفضه الصلاة في الكنائس أخطر مبدأ في علاقات الدول بعضها ببعض ، من حيث التسامح ، وحرية العقيدة .

لم يفعل عمر كما فعل هذا الذي يسمى بنابليون بونابارت ، حين دخل القاهرة ..

ودخل بخيوله إلى مسجد الأزهر !

وإنما عمر هو عمر ..

وشتان بين رجل تتلمذ على محمد صلى الله عليه وسلم .. ورجل كل مجده أنه صاحب عبقرية عسكرية !

وهذا النابليون الذي جعله الغربيون أغنيتهم الخالدة ، والفوا في مفاخره وعبقرياته آلاف الكتب .. يعتبر شيئاً تافهاً ، لا وزن له ، إذا قيس إلى رجل عملاق كعمر بن الخطاب .

ومن كان في شك من هذا فلينظر إلى موقف الرجلين من تلك

الحادثة المتشابهة ..

دخل عمر بيت المقدس فاتحاً ، وحان موعـد الصلاة ، وعرض عليه البطريق أن يصلي في كنيسة القيامة أو قسطنطين ، فـاعتذر الرجل ، مخافة أن يقلده المسلمون في ذلك ، فيكون في هذا مساس بحرية عقيدة المسيحيين .. وحرية معابدهم .

ودخل بونابرت القاهرة فاتحاً .

فدخل أكبر مسجد في العاصمة ، دخول الرعاع وقطاع الطرق ، واتخذ منه مربطاً لخيوله ، مع ما يجره ذلك التصرف الخسيس ، من قذارة وتحقير للمسجد .

فليقارن من كان في شك مما اقول بين مسلك الرجلين في الحادثتين المتشابهتين ..

وسوف يجد الفارق بعيداً جداً ..

هذا مسلك انسان عظيم ..

وذلك مسلك جبار لئيم !

هذا هو نابليون بونابرت ، اغنية الغربيين .. ومثلهم الأعلى .. يبدو حقيراً تافهاً . يخضع لتوازع الشر . وعفونات الحقد ..

وهذا هو عمر ، امير المؤمنين . يبدو عظيماً شامخاً ، إذا وزنت

أقدار الرجال .

وهذا ما أريد من جيلنا الصاعد أن يفطن له ، وينتبه بكل حواسه اليه .

اريد من جيلنا الصاعد أن ينبذ من اعماقه رواسب الثقافة الاستعمارية الإجرامية ..

تلك التي رسبت في رؤوسنا تعظيم أبطال الغرب ، وتقديس فعالهم ..

وفي نفس الوقت طمست على ملامح العظمة من ابطالنا . ابطال الاسلام ، ابطال العرب !

ونشأنا .. متأثرين اشد التأثر .. عن عمد أو عن جهل .. بذلك التوجيه الإجرامي .

وكون المستعمر في العالم الاسلامي جيلاً يعتقد أن العظماء هم عظماء الغرب ، وان الشرق خلو من العظماء ..

وأنا أقرر ، وفي يدي اسطع برهان ، أن رجلا كعمر بن الخطاب ، اعظم الف الف مرة من هذا النابليون بونابرت !

ذلك ان الانسانية ارتفعت بعمر ارتفاعاً عظيماً ، بينما انخفضت إلى الحضيض بفعال نابليون .

فليست العظمة ان تكون قائداً عبقرياً ، ولا أن تكون داهية

سياسياً ، ولا أن تكون اكبر من ذلك ، وإنما العظمة ان تكون قبل هذا وذاك انساناً ..

ولقد شهدت الأرض والسماء أن عمر كان إنساناً .

إن عندنا شموعاً ولكنها مطفأة ..

ولدينا شموساً ولكنها مطموسة ..

وعندنا أقماراً ولكنها مغطاة بسحب داكنة ..

والآن .. وقد انزاح كابوس الاستعمار .. فقد اصبح لزاماً أن نفتش عن أمجادنا ، وأن نبعث إكبار أبطالنا في نفوس أبنائنا .

إن تلك المدرسة التي رباها الاستعمار كيفما يريد ، يجب أن تسقط بأساتذتها وطلابها وروادها ..

يجب أن ترفع من الطريق ، لتتقدم مدرسة جديدة ، مدرسة ثائرة ، تكبر الإسلام ، وتعظم أبطاله ، وتمجد فعالهم .

إن هناك جذوراً عفنة لمدرسة الاستعمار الثقافية . ما زالت تمد شعيراتها في النجاسات والانحرافات . هذه الجذور يجب ان تقتلع وتذهب ..

سلامٌ عليك يا عمر .. سلام عليك يوم كرمت حرية الانسان وحرية العقائد .. يوم أبيت الصلاة في الكنيسة .. وصليت بعيداً عنها في مكان بسيط في خلاء !

عمر يحمل كناساً !

معلوم أن الأعمال في نظر الاسلام سواء . ليس فيهـــا دنيء وشريف .. كما هو الحال عند الأكثرين من الناس .

وهذا الطابع تراه واضحاً في سلوك المسلمين الأول . فيما كانوا يباشرون من أعمال عظيمة او تافهة .

ويبدو هذا السلوك اوضح ما يكون في مسلك عمر . في تلك الأقصوصة .

قلتـــا أن عمر اعتذر لصفرنيوس عن الصلاة بكنيسة القيامة .. وانه صلى بمكان قريب من صخرة يعقوب ، على أطلال هيكل سليمان !

وفي هذا المكان الذي صلى فيه عمر اقيم مسجده .. بسيط البناء كمسجد النبي بالمدينة يوم اقيم .

وجعل عمر قبلة المسجد إلى الكعبة . ولم يجعـل الصخرة دونهـــا ..

ورأى عمر على الصخرة كناسة كان الروم يلقونها فوقها .

فقال لأصحابه :

« اصنعوا كما اصنع » .

ثم جثا في اصلها .. وجعل يحمل ما عليها بنفسه . فيلقيه بعيداً عنها .

وصنع اصحابه كما صنع .. وما زالوا بالصخرة حتى زال كل ما عليها !

وقد بقيت الصخرة محاطة برعاية المسلمين من يومئذ .. إلى أن اقام عبد الملك بن مروان عليها قبة بالغ في العناية بعمارتها . حتى جعلها أروع آية في البناء .. حتى لقد فاق بها عمارته المسجد الأقصى والمسجد الحرام ..

تلك هي الأقصوصة الخالدة التي تسجل ان عمر عمل يوماً ما كناساً . وحمل بنفسه الكناسة والقاذورات عن الصخرة !

ودعا أصحابه إلى ذلك . وهم القادة والحكام والعظماء والكبراء في الدولة !

وعملوا كما عمل .. كناسين .. وهو أقل الأعمال شأناً .. في مقاييس الناس ..

فما دلالة تلك الفعلة التي فعل ؟

انها دلالة عظيمة .. أن الاسلام يسوي بين الأعمال جميعاً ..

فليس هناك عمل عظيم في ذاته . وعمل حقير في ذاته .. وإنما الكل سواء من حيث هو عمل .

وإنما يأتي التفاضل والتفاوت فيما تنطوي عليه نفس العامل وقت تنفيذه لذلك العمل ..

فمن كان يبتغي بعمله وجه الله فهو عمل مرفوع عند الله ، ومن كان يبتغي بعمله رياء ، أو شهرة ، او دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهو عمل موضوع عند الله ..

وعلى قدر نية المرء واخلاصه تكون درجات الأعمال عند الله .

تلك هي نظرة الاسلام إلى الأعمال التي هي نظرة عمر ..

فعمر حين انبعث إلى الكناسة على الصخرة يحملها ، وينظفها ، وحين دعا أصحابه إلى ذلك .. إنما كانوا جميعاً يريدون وجه الله ، يعظمون الله في تعظيم حرماته ..

قال تعالى :

﴿ ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ ..

كانوا يريدون ما عند الله .. ولا ينظرون إلى طبيعة العمل ، وإنما ينظرون إلى غاية العمل ..

فكان ما عملوا عظيماً عند الله ، عظيماً في موازينهم يوم القيامة .. وإن كان في مقاييس الجاهلين عملاً حقيراً لا يصح أن يباشره رجل يحترم نفسه !

وهكذا هذا الإسلام العجيب .. يزن الأمور وزناً غير موازين النـــاس ..

فقد يكون الرجل ملكاً عظيماً في عرف الناس .. وهل هناك صناعة أعظم من صناعة الملك ؟

إلا أنه لا يساوي شيئاً عند الله ، لأنه يتخذ الملك كبراً وعلواً بغير الحق !

وقد يكون الرجل كناساً ، يباشر أدنأ الأعمال فيما تعارف عليه الناس ، ولكنه عظيم عند الله ، لأنه يريد بعمله هذا وجه الله !

وهذا هو الميزان الحق .. ميزان الاسلام .. ومن هنـــا اختلفت نظرة الأسلام إلى الأعمال عن نظرات الناس ..

وما كان عمر بدعاً فيما صنع ، وقد رأى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم من قبل يرفع التراب مع أصحـــابه في غزوة الاحزاب ، وقد رأى أبا بكر من قبل يأخذ بفرس أسامة ويقوده ماشياً واسامة راكبـاً ؟

إنما هو معين واحد .. معين القرآن ووحي السماء .. منه نهلوا جميعاً ، ومنه صدروا عن اسلوب واحد ..

عودة الفاتح

وانهى عمر رحلته إلى بيت المقدس ، وحقق رجاءه ، وفتح الله له المدينة العالمية ، يفعل فيها ما يشاء .

بينما هرقل يفر مذعوراً إلى القسطنطينية ، لا يدري ماذا يفعل ، ولا ما سوف يفعله به عمر !

وكانت أنباء الفتح قد بلغت علياً والمسلمين بالمدينة ..

فاستقبلوه بظاهر المدينة استقبالاً عظيماً !!

ثم ماذا من عجائب ابي عُبَيْدة ؟!

الامة كلها ..

تهرع لنجدة ..

أبي عبيدة ؟!

الدولة المؤمنة تتحرك !

قال صلى الله عليه وسلم :

« المؤمنون كجسد واحد .. إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .. »

ليس المقصود من ذلك الحديث تلك المعاني الضيقة التي درج الناس ان يحصروه فيها من الأخلاق والايمانيات ..

كلا .. وإنمـــا هو معنى عام هام .. في كل شأن من شئون الحيـــاة ..

المؤمنون كجسد واحد !

بمعنى أن هذا الجسد يفزع ويألم ويتحرك كله ، إذا أصيب منه عضو من الأعضاء ، أو إذا تعرض للخطر .

وأوضح مثال لذلك هو ما نعرضه الآن ، مما حدث في عهد عمر للامبراطورية الناشئة .

عاد أبو عبيدة ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيـــان من من بيت المقدس ، من رفقة عمر ، كلّ إلى عمله .

فاقام يزيد بدمشق ، ونزل أبو عبيـــدة حمص ، واستقل خالد بامارة قنسرين .

وجعل كل منهم يحكم ولايته بالعدل والرحمـــة بعد أن خضعت الشام للمسلمين من أقصى الجنوب إلى اقصى الشمال ..

على أن أهـــل الجزيرة المقيمين بين العراق والشام كتبوا إلى هرقل ، أنهم على استعداد لمعـــاونته ، إذا أرسل من البحر جنداً يقاتل المسلمين ، ويسترد منهم ما استولوا عليه .

وأعادوا الكتابة اليه في ذلك ..

فظن امبراطور الرومان أنها فرصة ، ليلقي على المسلمين درساً ، ويسترد منهم الشام ..

وكتب إلى أهل الجزيرة يشجعهم ويحرضهم ، ويذكر لهم أنه أمر سفنه ، فهي تمخر البحر ، تحمل الرجال والعتاد من الإسكندرية إلى أنطاكية ..

فسارت هذه القبائل بكل قواتهـــا ، من الجزيرة ، تريد حمص .

وبلغت ابا عبيدة أنباء ذلك كله ..

وشاور أبو عُبَيدَة خالداً في الأمر ، واستقر رأيهما على أن تجتمع قوات المسلمين بشمال الشام لمواجهة العدو .

وترامت الأنباء في جميع الأنحاء ، فما أقبلت سفن هرقل إلى انطاكية ، حتى ثارت بالمسلمين ، واندلع لهب الثورة في شمـــال الشام كله !

والفى أبو عبيدة نفسه محصوراً في حمص ، يحيط بـه الثائرون من كل جانب ..

ويسير أعداؤه لمهاجمته مقبلين من ناحية البحر ، ومن ناحيـة البـــادية ..

وعلى الفور جمع أبو عُبَيْدَة قواده واستشارهم وأنباهم أنه كتب إلى عمر في الأمر .

انظر كيف كان أمر عمر حين بلغه ذلك !

ثم انظر كيف تحركت الأمة كلها ، وكيف كان تجاوبها حين دهم الخطر مكاناً منها ..

تماماً كما شبههم رسول الله ..

« كجسد واحد » ..

ماذا فعلِ عمر ؟

استجاب سريعاً ، واصدر اوامره سريعاً ، وتحولت الأمة كلها إلى العمل سريعاً .

إن ابا ُعبيدة قد أُحيط به ؟

كتب فوراً إلى سعد بن أبي وقاص :

« اندُبِ الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان ابا ُعبَيدة قـــد أُحيط به وتـَقـَدّمْ اليهم في الجِد والجِدّة » ..

ونفذ سعد أمر أمير المؤمنين فوراً ، في نفس اليوم .

وفي نفس اللحظة تحرك القعقاع في أربعة آلاف من الفرسان المجربين ، فانطلقوا مسرعين من الكوفـة إلى حمص .

هل هذا فقط ..

كلا .. إن الجسم كله يجب ان يتحرك سريعاً ، ليهاجم كله موضع الخطر ..

هذه الثلاثين الفاً التي تحركت من الجزيرة وتركت بلادها لتقاتل أبا عُبيدة وتنضم إلى قوات هرقل القادمة من البحر ، من انطاكية .. لا بد أن تتلقى درساً يعلمها أن لا تفكر في مقاتلة جنود الله ..

وعلى الفور أصدر عمر أوامره إلى سعد أن يبعث جيوشاً تغزو بلاد الجزيرة .

فليبعث سعد بن أبي وقاص سُهَيْل إلى الجزيرة في الجند ، فإن اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على اهل حمص ..

ولتكن الرقّة مقصد سهيل ..

وليسرح عبدالله بن عتبان إلى نصيبين .. فإذا أخضعوهما فليسيرا إلى حَرّان والرُّها ..

وليسرح الوليد بن عقبة إلى عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ..

ولتكن لعياض بن غنم .. إمارة الجند كله في حرب الجزيرة .

فإذا سار هؤلاء الأمراء جميعاً ، وخربوا ديار اهل الجزيرة ، ذكرت جيوشها ذلك فلم يقاوموا !

أوامر متدافعة ، سريعة ، جبارة ، تدل على أن الارادة الحديدية قد انبعثت في عمر ..

إرادة التحدي للكفر وأعـــداء الله ، والاصرار على النصر .

كل الدولة تتحرك ، كل الدولة تتفاعل ، وتتدافع لدرء الخطر عن الجسم !!

وبعث هرقل ابنه قسطنطين على رأس الجيوش التي نقلتها السفن من الاسكندرية ليثار لكرامته ، ويقضي قضاء تاماً على خطط عمر العسكرية ..

عمر يخرج غوثاً لابي عُبيدَة ؟

وفكر عمر ..

وفكر ، وقرر ان يخرج فـــوراً بنفسه ليقود المعركة ..

وحشد ما استطاع من قوات المدينة وما حولها ، وسار هو على

رأسها ، متخذاً طريق دمشق إلى ميدان القتـــال ..

ارأيت؟ كل الجسم يتحرك ..

القعقاع إلى حمص ، آخرون يهاجمون الجزيرة نفسهـــا ..

عمر ، رأس الدولة ، يخرج بنفسه إلى القتـــال ..

وهذا هو المثال الحي لمعنى قوله صلى الله عليه وسلم :

« كالجسد الواحد » ..

وهكذا كانت تلك الأمة تتفاعل وتتجاوب بأسرع ما يكون التفاعل والتجاوب ، لأنها كانت في أقصى درجات الحياة .

النصر بالرعب ؟

فماذا كانت النتيجة عندما انطلق العمالقة من كل مكان ، وعلى رأسهم عملاق الحق الأكبر ؟

أما القبائل التي خرجت تريد حمص ، فأيقنت أن منازلهـــا بالجزيرة لن ترعى لهـــا حرمة بعد الذي صنعت .

فانخلعت منها القلوب ، وآثرت الرجوع من حيث أتت ، لعل

في رجوعها بعض ما يكفر من جريمتها !

واصبح أبو عبيدة يوماً ، فعلم أن القبائل تفرّق أهلها مرتدين إلى بلادهم وذويهم ..

وأنه لم يبقَ بازائه إلا الروم جند هرقل !

ودعا اليه قواده ، وقال لهم : أنه يرى محاربة القوم .

وسر خالد بن الوليد ، وأشار بمفاجأتهم قبل أن يأخذوا للموقف الجديد عدّته .

وظن الروم حين رأوا القبـــائل تتخلى عنهم ، ورأوا المسلمين يخرجون من حصون حمص للقائهم ، أن في الأمر مكيدة دُبرّت لهم فتولتهم الحيرة .

وهاجمهم أبو عبيـدة ..

واستمات الروم في القتال .. لكنهم تضعضعوا ..

ثم انهزموا !

ففروا قبل ان يبلغ القعقـــاع بن عمرو حمص ، وقبل ان يبلغ عمر الجابية فى طريقه إلى الشام !

ما هذا ؟

هذا النصر بالرعب ..

رجـــال صدقوا الله فصدقهم ، وخرجوا يريدون الموت ، فكان الله معهم ، والقى في قلوب الذين كفروا الرعب ، وزلزلهم، فانهـــاروا .. وفر من فر منهم ، وأصبحت مقاومتهم كان لم تكن !.

تأمل ..

الرومان يخرجون في جيوش وأساطيل ، وحلفـــاؤهم من الجزيرة يخرجون في ثلاثين الفاً من الجنود ، فمـا أن أحسوا أن المسلمين قد انبعثوا من كل مكان للقـــائهم . حتى رعبوا ، ففروا وانهزموا !

علم الله من المسلمين الصدق .. وعلم ما في قلوبهم .. وأنهم خرجوا يريدون إعلاء كلمة الحق ..

فكان أن تدخل الله في المعركة .. ونصرهم نصراً عزيزاً ، كانه الأحلام !

ومن هنا يجب أن نتعلم ..

نتعلم أن الله يريد منا أن نعمل ، وأن نريد بعملنـا وجهه ، وأن نعد للعدو ما استطعنا من قوة حربية .. فإذا آنسنا منـه غدراً ، أو اعتداء ، هببنا هبة رجل واحد للقائه .. وسوف يكون

الله معنا .

فلما بلغ عمر الجابية وجد رسول أبي عبيدة بهـــا يذكر له انتصارهم قبل ثلاثة أيام من وصول القعقـاع اليهم ، ويستشيره في الفيء ، وهل يكون لرجـــال القعقاع نصيب منه ؟

واطمأن عمر إلى نصر الله .. وكتب إلى أمين الأمة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء ..

فسيرهم لنجدته ، هو الذي أدخل الرعب إلى قلب عـــدوه ، فادى ذلك إلى هزيمته ..

« وجزى الله أهل الكوفة خيراً ، يحمون حَوْزَتهم ويمدُّون اهل الامصار » ..

ثم رجع عمر إلى المدينة ..

وهكذا حاقت الهزيمة بالرومان في محاولتهم اليائسة لاستعـــادة الشام .

فعاد كل أمير من المسلمين إلى إمارتـه ، بعد ان هدأت ثورة الثائرين ، ويأسوا من عودة الرومان إلى الشام .

ليس هذا فقط ..

وإنمـــا تداعى اهل الجزيرة ، قبيلة إثر الأخرى .. تستسلم ،

وتعطى الصلح والجزية ، بعـــد أن رأوا قوة المسلمين التي لا تغلب ..

وهكذا اتصلت الدولة الاسلامية في الشمال .. والتـــام العراق مع الشام ..

لقد أرادوها هزيمة للمسلمين ..

فانقلبت خيراً لهم ..

النبيل ابو عبيدة ...

تتلألأ مطارفه ...

عندما هو كم ..

خالد بن الوليد ؟!

قال ابن الاثير :

« .. عَزْل خالد بن الوليد ..

« في هذه السنة .. وهي سنة سبع عشرة .. عزل خالد بن الوليد عمّا كان عليه من التقدّم على الجيوش والسرايا ..

« وسبب ذلك أنه كان أدرب هو وعياض بن غنم .. فأصابا أموالاً عظيمــــة ..

« وكانا توجها من الجابية مرجع عمر إلى المدينة ..

« وعلى حمص أبو عُبيدة .. وخالد تحت يده على قِنّسرين .. وعلى دمشق يزيد .. وعلى الأردن معــــاوية .. وعلى فلسطين علقمة ابن مُجزّز .. وعلى الساحل عبد الله بن قيس ..

« فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه رجــــال .. وكان منهم الأشعث .. بن قيس ..

« فــــأجازه بعشرة آلاف ..

« فلمـــا فرّق خالد في الذين انتجعوه الأموال .. سمع بذلك عمر بن الخطاب .. وكان لا يخفى عليـــه شيء من عمله ..

« فدعا عمر البريدَ فكتب معه إلى أبي عبيـدة .. ان يُقيم خالداً .. ويعقله بعمامته .. وينزع عنه قلنسوتـه .. حتى يعلمكم من اين أجاز الأشعث .. أمن ماله ام من مال إصابة أصابها ؟ فإن زعم انه فرّقه من إصابة أصابها فقد اقرّ بخيانة .. وإن زعم أنه من مـــاله فقد أسرف ..

« واعزله على كل حـــال .. واضمُمْ اليك عمله ..

« **فكتب ابو عبيدة إلى خالد .. فقدم عليه ..**

« ثم جمع الناس .. وجلس لهم على المنبر ..

« فقـــام البريد[1] .

« فسال خالداً : من أين أجاز الاشعث ؟

« فلم يجبه ..

« **وابو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً ..**

---

(١) اي : رجل البريد ..

« فقام بلال فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ..

« ونزع عمامتـــه ..

« فلم يمنعه سمعا وطاعة ..

« ووضع قلنسوته ..

« ثم أقامه .. فعقله بعمامته ..

« وقال : من أين أجزت الأشعث .. من مالك أجزت أم من إصابة أصبتهـــا ؟

« فقال : بل من مالي .

« فأطلقه .. وأعاد قلنسوته .. ثم عمّمه بيده ثم قـــال : نسمع ونُطيع لولاتنا .. ونفخّم ونخدم موالينا ..

لا يدري !

« وأقام خالد متحيراً .. لا يدري أمعزول أم غير معزول ؟!

« ولا يُعلمه أبو عبيدة بذلك تكرمة وتفخمـــة ..

« فلمـــا تأخر قدومه على عمر ظنّ الذي كان ..

« فكتب إلى خالد بالاقبال عليه ..

« فرجع إلى قِنسرين .. فخطب الناسَ وودّعهم ..

« ورجع إلى حمص فخطبهم .. ثم سار إلى المدينـة ..

« فلما قدم على عمر .. شكاه .. وقال : قد شكوتُك إلى المسلمين ، فبالله إنك في أمري لغير مجمِل ..

« فقال له عمر : من أين هذا الثراء ؟

« قال : من الانفال والسهمان .. ما زاد على ستّين الفـــاً فلك ..

« فقوّم عمر ماله .. فزاد عشرين الفـــاً .. فجعلها في بيت المـــال ..

« ثم قـــال : يا خالد .. والله إنك عليّ لكريم .. وإنّك إليّ لحبيب ..

« وكتب إلى الامصار : إني لم أعزل خـالداً .. عن سخطة .. ولا خيانة .. ولكنّ الناس فخّموه .. وفُتنوا به .. فخفتُ أن يوكلوا اليه ..

« فاحببت ان يعلمـوا ان الله هو الصانع .. وأن لا يكونوا بعرض فتنة .

« وعوّضه عما اخذ منه .. » !!

*

هذا مجمل القصة ، عند ابن الاثير ..

ولكن القصة اكبر من ذلك بكثير !

القصة هي : لماذا يُفعل هذا بخالد !!

لماذا يعزل عمر خالداً ؟!

لماذا يستفتح عمر عهد خلافته بعزل خالد ؟!

إن التاريخ ليتغيظ على عمر .. ويطلب تفسيراً لما فعل ؟!

لماذا يصر عمر على إنزال خالد عن عرشه وهو في قمة مجده ؟!

لماذا هذا يا عمر !

فسرّ لنا يا من جعل الله الحق على لسانه وقلبه .. لماذا عزلت خالداً .. ولم يعزله رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. ولم يعزله أبو بكر .. وهما اعلم منك بالرجال ؟!

تقدّم يا عمر .. ودافع عن سياستك فان التـــاريخ يتغيظ عليك !!

فكان جواب عمر :

« إني لم أعزل خالداً ..

« عن سخطة ..

« ولا خيانة ..

« ولكنّ الناس فخّموه ، وفتنوا به ..

« فخفتُ ان يوكلوا اليـه ..

« فاحببتُ أن يعلموا أنّ الله هو الصانع ..

« وان لا يكونوا بعرض فتنة .. » !!

هذا هو جواب عمر .. وهو نص المنشور الذي أذاعه في الأمصار كلها .. أي على مسامع العالم كله .. حين عزل خالداً عزلاً نهائياً .. واستدعاه إلى المدينة !!

فهل كان عمر صادقاً فيما قال ؟!

نعم .. نعم .. لأن عمر لا يكذب .. بل كان بلاؤه دائماً ياتي من صراحته المطلقة في إعلان الحق والجهر بالصدق ..

وفي الحديث :

« رحم الله عمر .. تركه الحق .. وما له من صديق » !

وفي الحديث ايضاً :

« إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » !!

إذاً .. فما قاله عمر في منشوره إلى الامصار .. حقّ ..

وإياك إياك أن يلعب بك شيطانك فتظن أن ما قاله عمر هو من ألاعيب الساسة التي يواجهون بها ثورة الجماهير !!

كلا .. ثم كلاّ .. إن عمر لا يلعب بالالفاظ .. وإنما هو ينطق بالحقّ .

فلننظر إلى كل كلمة في منشور الفاروق نظرة تغوص إلى الأعماق ، لنصل بذلك إلى سرّ تلك القضية الكبرى .. قضية عزل خالد !!

★

درس .. في التوحيد ؟

عندما شبّ إسماعيل وترعرع وسعى بين يدي أبيه ابراهيم ..

كان الدرس :

﴿ اني أرى في المنام اني اذبحُك ﴾ ؟!

لماذا ؟! حتى لا يلتفت الخليل عن خليله .. إلى إسماعيل !!

وعندما قالوا :

« لن نُغلب اليوم من قلة » ..

بعـــد فتح مكة ..

كان الدرس هو الهزيمة .. تدميراً للاعجاب من النفوس :

﴿ ويومَ حُنَينٍ .. اذْ أعجبتكم كثرتُكم .. فـــلم تُغنِ عنكم شيئاً .. ﴾ !

هذا أسلوب من أساليب التربية الإلهية للنفوس ..

لاقتلاع الالتفات عن الله .. واقتلاع الاعجاب من القلوب ..

والامثلة ها هنا لا تُحصى .. وإنما نقول إن عمر، وهو هو من الرشاد يعلم أن انتصارات خالد المتلاحقة ستصبح حجاباً بين الناس وربهم .

وهـا هنا الفتنة .. التي لو لم تُحسم .. لم ينزل النصر على المسلمين ..

ماذا اريد ان اقول ؟

اريد ان اقول أن عزل عمر خالداً ، كان درساً ثميناً عالياً فريداً من دروس التوحيد العليا ..

أنقذ بعزله قلوباً قد تحتجب بانتصارات خالد عن ربها

وهذا اخطر ما يصيب النفوس في توحيدها ..

وهو الركون إلى الاسباب .. ونسيان أن الله هو الناصر ، وليست الاسباب !!

وقد كان للفاروق سوابق من هذا القبيل .

قطع الشجرة التي بايع تحتها ١٤٠٠ من الصحابة رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ، بيعة الرضوان ،حسماً للفتنة واقتلاعاً للركون إلى الاسباب .

وأعلن ان الحجر الاسود لا يضر ولا ينفع ولولا أنه رأى رسول

الله .. صلى الله عليه وسلم .. يقبله ما قبله !

إنه رجل توحيد ..

يغار أن يُمس التوحيد من قريب أو بعيد !

وها هو أمام خالد ..

كل الناس تتنادى : خالد .. خالد .. خالد ..

الاقاصيص تنسج في جميع أنحاء العالم حول خالد ..

فاصبح خالد حديثاً يشغل الاعداء والاصدقاء على حد سواء ..

الرجل الذي لا يُقهر ..

السيف الذي لا يُغلب .

القائد الذي لم يُهزم قطّ .

سيف الله .. ميمون النقيبة .. المنصور بالرعب .. إذا نزل بساحة قوم فساء صباحهم ..

امير أمراء جيوش الاسلام ..

قاهر مسيلمة الكذاب ، الرجل الذي قضى على الردّة ..

الرجل الذي دوّخ الامبراطورية الفارسية ..

وها هو يجهز على الامبراطورية الرومانية من بعدها ..

أما لانتصارات خالد من آخر ؟!

إذاً شُغِل الناس بذكر خالد .. عن ذكر الله ..

وهـذا هو الحجاب .. حجاب الاسباب ..

فأراد عمر .. أن يكشط هذا الحجـاب ..

فعزل خالداً .. فسقط الحجاب .. وعلم الناس أن الله هو الصانع ، وليس خـالداً ..

وصحّح عمر التوحيد للناس ..

فاستنقذهم من فتنة كادت تحجبهم عن ربهم .

وأعلن ذلك في منشوره .. فكان درساً ثميناً في التوحيد !

ولكن الناس فخّموه ؟

« اني لم اعزل خالداً .. عن سخطة .. ولا خيانة ..

« ولكن الناس فخّموه .. » !!

لست ساخطـاً على خالد .. وليس بنفسي أي شيء يسخطني

عليـــه ..

وهذا ينفي وساوس مَن قال أن عمر كان يضطغن على خالد أنهما تصارعا في الصغر فكسر خالد ساق عمر .. فما زال يضطغنها عليـه !!

وينفي كذلك ان عمر كان يُحصي عليه موضوع زواجـه بامرأة مالك بن نويرة .. إلى غير ذلك من الاقاصيص .

فإذا قال عمر « لم اعزل خالداً عن سخطة » .. وجب على الفور أن نوقن ان نفس عمر راضية تماماً عن خالد .

ولا خيانة ؟! ليس هناك أي مأخذ على تصرفـــات خالد العـامة ..

ولكن الناس فخّموه ؟! وهذه ليست جريمة خالد .. وإنما هي جريمة الناس .

الرجل العظيم .. إذا اشتهر .. وصار حديثاً على الالسن .. دفع هو الثمن .. ثمن هذه الشهرة ..

وكم من عظيم ، كانت شهرته سبب بلائه ومتاعبه !

إن خالداً لم يسع إلى الشهرة ، ولكن هي سعت اليه !

ولم يقل للناس اذكروني .. ولكن هم ذكروه وفخموه واطلقوا بخيالهم في بطولاتــه ..

لا ذنب له في هذا .. ولكن العجيب دائمًا أن يدفع العظيم ثمن هذا التفخيم !

وُخذها دائمًا قانونًا ..

كل ممتاز .. يُبتلى في امتيازه .

وتأمّل في ذلك يوسف .

كان ممتازاً .. فحقد عليه إخوته لأنه ممتاز .

كان الامتياز في نظر المتخلفين جريمة كبرى !

فخفتُ ان يوكلوا اليه ؟

« فُتنوا به ..

« فخفتُ ان يوكلوا اليه .. » !!

وفتنوا به ؟!

واحتجبوا به عن ربهم ..

وذكروه ولم يذكروا ربهم ..

ونسبوا النصر اليه .. ولم ينسبوه إلى الله ..

« فخفت ان يوكلوا اليه » ان يتركهم الله إلى خالد ، ويتخلى عنهم .. مـا داموا قد ركنوا اليـه .. وظنوا أن النصر معقود عليـــه ..

وهـا هنا يأتي العقاب .. ويبطىء النصر .. وتكون الطامـة والهزيمة ..

الله هو الصانع ؟!

« فاحببتُ ان يعلموا أنّ الله هو الصانع ..

« وأن لا يكونوا بعرض فتنة » !!

فاحببت أن يعلموا ؟!. أريد ان اعلم الناس جميعاً هذا الدرس الثمـــين ..

أنّ اللهَ هو الصانع ؟!

ان يعودوا إلى التجريـد في التوحيد .

ان يعلموا ان الله هو الصانع للنصر .. وليس خـــالداً هو

صانع النصر .

سوف اعزل خــــالداً .. ولسوف تستمر الانتصارات بغير خالد ..

لأن النصر من عند الله .. لا من عند خــالد ..

*

فالقضية قضية توحيد ..

وعمر عملاق من أعلى عمالقة التوحيـد ..

إذا آنس مساساً بالتوحيد .. تحتم عليه باعتباره خليفة المسلمين، أن يبادر إلى تصحيح التوحيد ..

فاذا لزم الامر عزل شخص فليُعزل ..

ولو كان المعزول خـالداً !!

*

وهكذا تلألأت مكارم الاخلاق من ابي عبيدة ..

في هذا المشهد الخالد .. مشهد محاكمة خالد !!

نفذ امر أمير المؤمنين .. في رفق ولطف .. توقيرا لمقام سيف الله المسلول ..

رضي الله عنهما !!

في عام المجاعة ..

ابو عبيدة يقول لعمر :

لا حاجة لي فيها ..

يا أمير المؤمنين ؟!

مبادىء خطيرة جداً ؟

يا أيها العرب .. الذين يتسولون نظماً من هنا وهنـــاك ..

يا ايها المسلمون .. الذين ضلوا عن حقـــائق دينهم ، فاضلوا أنفسهم ، وأضلوا كثيراً .

يا أيها الناس جميعاً .. اعطوني آذانكم .. واسمعوا ..

وأعطوني عقولـكم وتفكروا .. واعطوني قلوبكم واشهدوا ..

هذا عمر .. اشمل وأكمل مثال لتطبيق الإسلام في التاريخ .. يضع أخطر مبـادىء اقتصادية في الأرض ، مبـادىء تعتـبر وراء الاشتراكية ، ووراء الشيوعية ، ووراء المثالية ، ووراء الانسانية ..

إذاً ماذا تكون تلك المبادىء يا صاح ؟

إنها الربانية الآتية من عند الله ، إلى محمد رسول الله ، ثم إلى عمر خليفة رسول الله !

ما القصة إذاً ؟

يا لها من قصة !. فاسمعوا ..

لقد اراد الله تعالى ان يمتحن عمر ، ويمتحن النـاس على عهده بالشدة ، كما امتحنهم بالرخاء ، لينظر ماذا يفعلون ، ويكشف حقيقة معادنهم أمام العالمين .

لقد امتحن الله تلك الأمة بالرخاء ، ووضع كنوز الأرض بين يديها ، فنجحت في الامتحان ، وتبدت للعالم كله ، أمانة ، وصدقاً ، وزهداً ، ووفاء ، وشكراً لله ..

فأراد ربك ان يمتحنهـا بالشدة ، وباقسى أنواع الشدة ، لينظر معدنها من الزاوية السوداء في الحياة .. تطبيقاً لاسلوب الله في الحياة عمومـاً ..

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ..

وقد كان .. فبعد ان ابتلوا بالرخـاء ، بأوسع انواع الرخاء ، حين جعلهم أعز اهل الارض ، واغنى اهل الارض .. ابتلاهم بالشدة في اقصى درجاتها ..

بالجوع ثم بالوباء ..

نحن في أخريات السنة السابعة عشرة ، وها هو القدر يفـاجيء

الامة بهولين عظيمين ، المجـــاعة التي انتشرت في بلاد العرب من أقصى جنوبهـا إلى اقصى الشمال ، والتي دامت تسعـة اشهر هلك فيها الزرع والضرع والحرث والنسل، وأصاب الناس منهـــا أشد الجهد والبلاء .

والهول الثاني : طاعون عَمَواس الذي امتد من الشام إلى العراق ، فافنى الألوف من خيرة المسلمين ، رجالاً ، ونساء ، جنداً ومدنيين ، حتى ارتاع له عمر ، وارتاع له الناس جميعاً أيما ارتياع .

عام الرمادة !

كان سبب المجاعة أن أمسك المطر في شبه الجزيرة العربية كلهـا تسعة أشهر كاملة ، وتحركت الطبقات البركانية من ارضها ، فاحترق سطحهـا ، وكل ما عليه من نبات ، فصارت الارض سوداء مجدبة كثيرة التراب ، فاذا تحركت الريح سفت رماداً .

لذا سمي هذا العام عام الرمادة !

ونشأ عن إمساك المطر ، وهبوب الرياح ، وهلاك الزرع والضرع ، جوع أهلك الناس والأنعام ، فقد فني الكثير من قطعـــان الغنم والماشية ، أو جف ما بقي منها ، حتى كان الرجل يذبح المـــاشية

فيعافها لقبحها ، رغم جوعه وبلواه .

من ثم اقفرت الأسواق ، فلم يبقَ فيها ما يباع ويشترى ، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها ، إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم .

وطال الجهد ، واشتد البلاء ، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع ، والجُرْذان ، يخرجون ما فيها .

كان أهل المدينة أحسن من غيرهم حالاً اول العهد بالمجاعة .

فالمدينة حضر ادّخر أهلها حين الرخاء ما اعتاد أهل الحضر ادخاره ، فلما بدأ الجد ، جعلوا يخرجون ما ادخروا يعيشون منه .

أما اهل البادية فلم يكن لهم مدخر ، فاشتد بهم الكرب من أول الأمر .

ثم إنهم هرعوا إلى المدينة يجارون إلى أمير المؤمنين بالشكوى ، ويلتمسون لدى اهلها فتاتاً يقيمهم .

وازداد هؤلاء اللاجئون عدداً فضاقت بهم المدينة ، واشتد بأهلها البلاء ، فصاروا في مثل حال أهل البادية جوعاً وجدباً .

ماذا صنع عمر ؟

اشتدت المجاعة .. وجيء عمر بخبز مفتوت بسمن ، فدعا رجلاً بدوياً فأكل معه ، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك إلى جانب الصفحة .

فقال له عمر : كأنك مقفر من الودك ؟

وأجابه الرجل : أجل ! ما أكلت سمناً ، ولا زيتاً ، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا إلى اليوم !

وقامت بنفس عمر أعتى ثورة يمكن ان تقوم بنفس رجل .. وأقسم .. لا يذوق لحماً ، ولا سمناً ، حتى يحيا الناس !!

وظل على هذا العهد حتى أذن الله ، فعاد المطر ، وزال عن الناس الجدب !

*

اول مبدأ خطير ؟

. وعمر حين يقسم .. إنما هو الحق يقسم .. يعاهد الله الا يذوق لحماً ولا سمناً ، حتى يعود الناس إلى ما كانوا عليه من الرخاء .

وإذا عاهد عمر ربه ، فانما هو العهد النافذ الذي يدل على يقظة عمر الشديدة ، وحساسيته البالغة نحو الناس ، وحقهم عليه كحاكم لهم ..

قدمت السوق عُكّة من سمن ، ووَطب من لبن .. فاشتراهما غلام له باربعين درهماً .

وذهب اليه الغلام فقال له : قد أبر الله بيمنك ، وعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن ، وعكة من سمن ، فابتعتهما باربعين .

قال عمر : اغليت .. فتصدقْ بهما ، فاني اكره أن آكل إسرافاً .

وأطرق عمر هنيهة ثم قال : كيف يعنيني شان الرعية إذا لم يمسسني ما يمسهم ؟!

وذلك هو اول المبادىء الخطيرة التي وضعها عمر ، في عـام المجـاعة ..

ومن هو عمر حين قال هذا المبدأ الخالد ؟

هو الرجل الذي يحكم العالم شرقه وغربه بلا منازع !

ولو امكنك الآن ان تتصور الكتلتين الشرقية والغربية يحكمها جميعاً رجل واحد ، بدولهما ومقدراتهما وامكانيـاتهما الواسعة ، لاستطعت ان تتصور مدى السلطة والامكانيـات التي كانت بيـد عمر ، حين نطق بذلك المبدأ .

لو شاء عمر لعاش في قصور وترف ، وما عابه احد ، فهو رجل يحكم العالم كله !

ولو شاء لتعالى على الناس ، وهو حقيق ان يتعالى ، فـان أحقر صعلوك على الارض يتعالى ، فما بال عمر لا يتعالى وقد خضعت له الملوك ؟

ولو شاء لعاش ولو عيشة مقبولة مما يعيشها اوساط الناس ، إن اراد ان يكون زاهداً ، ولحمد الناس منه ذلك وشكروه .

ولكنه اجتاز كل تلك الأحوال ، وسما فوقها جميعـاً ، واقسم قسمه الخـالد الحق :

« لا يذوق لحما ولا سمنا حتى يحيا الناس » !

لمـــاذا يا عمر تحرّم على نفسك اللحم والسمن ، وقد احلهما لك الله ؟

لماذا تشدد على نفسك هـذا التشديد ؟

إنما رسمت بما فعلت دستوراً خالداً إلى يوم القيامة للجماهـــير والملوك .. انه ينبغي على من حكم الناس ، ان يعـاني الآلام التي يعانيها اقل انسان في الناس .

حين جاءك غلامك بسمن ولبن .. واشار عليك ان تاكل منهما ، ما دام في السوق مثلهما .. رفضت يا عمر .. واطلقتها خالدة :

كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما يمسهم ؟!

وهنا ينبغي ان نقوم جميعاً ، فرادى ، وجماعات ، ونتفكر في قول عمر .. وسوف نجد فيه حلاً لمشاكلنا وخلافاتنا ..

وأنا أسارع ، وادخل المعركة ، واقول لهم : الحق هنـــاك .. مع عمر .. تعالوا ننظر ماذا عن عمر ؟

ها هو يقول : كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني مـــا يمسهم ؟!

ما معنى هذا ؟

معنـــاه أن عمر يقرر أن الحاكم عليه أن يعاني بنفسه آلام

الشعب ، ويذوق بنفسه تجربة الفقر ، وألم الحرمان .. حتى يستطيع أن يعنى بمشاكل الفقراء ، وأن يحل آلام المحرومين .

لذلك حرّم على نفسه أن ياكل شيئاً لا ياكله كل فرد في الشعب ، حرم السمن واللحم ، حتى يأكل كل فرد السمن واللحم ..

فماذا يؤخذ من هذا ؟

يؤخذ من ذلك أن عمر يفرض على اهل الحكم أن يكونوا على مستوى أقل الطبقات في الشعب حتى يذوقوا نفس الآلام التي تعانيها تلك الطبقات ، فيعملوا على إزالة ما منه يشكون .

فالرجل الجائع هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الجوعى .

والرجل الضائق هو الذي يقدر على حل مشاكل الضائقين .

وهكذا .. وهو أخطر مبدأ يطلقه عمر .. وفيه رد على اولئك الذين يعيشون في القصور بين اللذة والنعيم ، ثم يتكلمون عن مشاكل وآلام الجماهير !

هؤلاء كذابون ، لأن الذي يشكو من التخمة ، لن يشعر بالجوع ، والذي يشكو من الترف لن يشعر بالفقير .

وهذا هو حكم عمر في القضية ، قضية العالم العربي ، في وقتنا هذا ..

إنه يحكم أن الاسلام يفرض على الأمة أن تأكل كلها ، وتسكن كلهـا ، وتشرب كلهـا ، على حد سواء .. لأن هـذه ضرورات الحيـاة ..

فإذا جاعت تجوع كلها .. وإذا اكلت أكلت كلها ..

هذا هو الاسلام أيها المختلفون .

إذا أردت ان تصلح الفقراء ، فأمر عليهم فقيراً ، واعمل على أن يظل فقـيراً ..

وإذا اردت ان تصلح الجوعى ، فأمر عليهم جائعاً ، واعمـل على أن يظل جائعاً .

عمر يَسوَدّ وجهه !

ونفذ عمر ما عاهد الله عليه .. حتى رآه الناس ، عام الرمادة ، وقد اسود لونه ــ وكان أبيض مشرباً بحمرة ــ ذلك أنه كان يـأكل السمن واللبن واللحم ، فلمـا أمحل الناس ، حرمها على نفسه ، وأكل بالزيت ، واكثر من الجوع حتى كان الناس يقولون ، وقد رأوا ما أصابه ، لو لم يرفع الله المحل ، عام الرمادة ، لظننا أن عمر يموت

همّاً بأمر المسلمين .

واسود وجه عمر .. ونحل جسمه .. وقرقرت امعاؤه .. من الجوع ..

فليقارن السادة ، حكام المسلمين انفسهم .. بما كان عليه عمر في ذلك الأوان ؟

كان العرب في مجاعة .. والشعوب العربية الآن في مجاعة .. ملايين منها لا تجد ضرورات الحياة ..

وهنالك حرم عمر على نفسه اللحم والسمن ، حتى نحل واسود ، وهنا ورغم تشابه الظرف ، تجد كثيراً من حكام المسلمين لا يحرمون على أنفسهم شيئاً من اطايب الحياة .. بل يعيشون في ترف دونه كل ترف !

الا إن الاسلام بريء من هؤلاء .. بريء منهم وإن زعموه واعتنقوه وادعوه ..

لأن الاسلام تنفيذ وتطبيق ، لا أماني وادعاءات .

حرام على ملوك المسلمين ان يعيشوا في القصور ، والأغلبية الساحقة من شعوبهم على التراب

حرام على ملوك المسلمين ان يتخموا من الملذات ، وغالب جماهيرهم لا تجد الخبز والضرورات .

حرام على ملوك المسلمين ان ينفقوا الملايين في الجواهر والمتاع ، وشعوبهم تحتاج إلى تلك الملايين لتبني بها المصانع للعاطلين .

هـــذا هو منطق عمر ، منطق الاسلام ، منطق الحق يا من تعيشون في اوهام !

لأنتم اشد خطراً على الاسلام من الكفار واللادينيين والشيوعيين والرأسماليين !

ذلك ان الناس إذا دعوا إلى الاسلام ، قـالوا : وما الاسلام .. اليس هو ما يفعله ملوككم ، واغنياؤكم ، من مباذل ومفاسد ، وترف ، بينما شعوبكم تئن من الطوى ، وتتوجع من الأمراض ؟

فماذا نقول لهم وقد صدقوا في زعمهم ؟

نقول لهم : كلا .. إنما الاسلام هو عمر ، حين جاع ، وجـاع ، وحرّم على نفسه السمن واللهم ، حتى ياكلهما كل الناس .. أمـا هؤلاء فليسوا من الاسلام في شيء إنما هم ادعياء .

يا غوثاه ! يا غوثاه !

إن رجلا كعمر ، لا يسوس الشعوب سيـاسة الشعراء الذين

يقولون ما لا يفعلون ..

كلا .. وإنما هو يعمل لرفع المجاعة عن الشعب ما استطاع اليه سبيلاً ، وذلك بعد ان يكون هو نفسه مثالاً حياً للشعب كله ..

جاع عمر ، وحرّم على نفسه الملذات طول المجاعة .. ثم انطلق يصدر اوامره إلى نوابه على الاقطار .

كتب إلى عمرو بن العاص بفلسطين يقول :

« سلام عليك ! أما بعد ، افتراني هالكاً ومن قبلي ، وتعيش انت ومن قبلك ! فياغوثاه ! يا غوثاه ! يا غوثاه ! »

عمر يتفجع ، ويتوجع ، ويستنجد .. لا لنفسه ، كلا ، وإنما للشعب ، للجائعين .

واجابه عمرو :

« اما بعد .. فلبيك لابعثن اليك بعير اولها عندك وآخرها عندي » ..

انظر . تجاوب ، تفاعل ، كل إنسان يتألم لما يصيب الآخر .. عمر يستغيث ، وعمرو يستجيب فوراً ، تماماً كالجسد الواحد ، إذا شتكى عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر .

ليس كمثلنا الآن .. يجوع قوم بيننا .. فيقول الآخرون : وما

لنا وهؤلاء .. حسبنا انفسنا ..

لم يكونوا كذلك ، وإنما كانوا سباقين إلى الخير ، سباقين إلى إغاثة الملهـوف .

وبعث عمر بمثل هذا الكتـاب إلى معاوية بن أبي سفيـان ..

وأبي عُبيدة بن الجرّاح بالشام ..

وإلى سعد بن أبي وقاص بالعراق ..

فأجابوه جميعاً ، بنحو ممـــا أجاب به عمرو بن العاص ..

كل اعضاء الجسم تستجيب لنجدة أي جزء يصاب ، او يحتاج من الجسم .. تماما كما شبههم رسول الله .. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ..

أبو عبيدة اسرع الامراء استجابة ؟

وكان ابو عبيدة بن الجرّاح أسرع الامراء استجابة لنداء عمر ، وغياثا لأهل شبه الجزيرة ..

سبقهم جميعاً ، فقدِم في اربعة الاف راحلة محملة طعاماً ..

فولاه عمر قسمته فيمن حول المدينة ..

فلما فرغ من ذلك امر له عمر بأربعة آلاف درهم ..

فقال : لا حاجة لي فيها يا امير المؤمنين ! إنما اردت الله وما قِبَله ، فلا تدخل عليّ الدنيا !!

ما هذا يا ابا عُبَيدَة ! اين لصوص الشعوب والجماهير ، ليتعلموا من جميل فعـالك ؟

فأجابه عمر : خذها ، فلا بأس بذلك إذ لم تطلبها ، وإني قد وليت لرسول الله مثل هذا ، فأعطاني بعد أن قلت له مثل مـــا قلت لي ..

وقبض ابو عبيدة المال ، وانصرف إلى عمله ، وهذا مبدأ آخر خطـير ..

إن عمر يقرر أن على الدولة أن تدفع أجراً إلى من يعمل لها ، وعلى من يعمل أن يأخذ ذلك الأجر ويستمتع به لأنه حـل له .

فعل هذا عمر ، وفعله ابو عبيدة ، اقتداء بفعل رسول الله ..

ولا ينقص ذلك من أجر العامل عند الله ..

ومن هنا نشتق قاعدة الهدايا والأجور للعمال في الدولة .

إنهم يؤدون أعمالاً عـامة ، ويأخذون أجوراً عامة من خزانة عـــامة ..

ومن هنا ندرك كيف كانوا يهتمون بأهالي القرى قبل اهـالي المدن والعواصم .

ويطعمون البعيدين قبل الأقربين .. وأن ذلك كان سياسة عامة من الدولة تتبعها في شأنها كلهـا .

وهذا علامة الحكم الصالح ، أنه يمد الخدمات العامة إلى القرى قبل العواصم ، حتى يطمئن الأبعدون ان حقهم واصل اليهم قبـــل المتمركزين في العواصم .

والعكس تجده في الحكم الفاسد .. تجد العواصم زاهرة ، عامرة ، تستمتع ، بينما القرى ميتة لا أثر فيها لحياة أو إصلاح !

الدولة ملزمة باطعام الجميع !

وبعث عمرو بن العاص الطعام من فلسطين على الابل ، وفي السفن من ثغر أيلة (العقبة حالياً) .

بعث في البحر عشرين سفينة تحمل الدقيق والوَدَك ، وبعث في

البر الف بعير تحمل الدقيق .

وبعث معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعير من الشام .

وبعث سعد بن أبي وقاص الف بعير من العراق تحمل كلها الدقيق ..

هذا خلا خمسة آلاف كساء أرسلها عمرو ، وثلاثة آلاف عباءة أرسلها معاوية .

امدادات سريعة ، تتوالى لنجدة الجزيرة العربية الجائعة .. وهكذا كانوا ، يغيثون بعضهم بعضاً ..

فماذا كان مسلك عمر إزاء هذه الامدادات ؟

أصدر أمراً بتعيين وزير للتموين يشرف على توزيع الامدادات على أهل الأمصار والبادية ..

ثم ماذا ؟.

ثم أشرف بنفسه على إطعام أهل المدينة ومن وفد اليها !

وقد يقول قائل : وهل اطعام الطعام أمر مهم حتى يباشره رئيس الدولة بنفسه ؟

وأقول : نعم .. إنه أمر إنساني .. شعب جائع ، فإذا رأى رئيسه يطعمه بنفسه ، قرت عينه ، واطمأن قلبه ، وانشرح

صدراً ..

وكاين من أمر يعتبره الناس شيئاً تافهاً ، وهو خطير الأثر في نفوس الشعوب .

وانصرف مندوبوه ، إلى أرجاء شبه الجزيرة يخففون عن الناس بلواهم ..

فلقي المندوبون ما بعث به سعد بن أبي وقاص من الأقوات عند افواه العراق ، فأقاموا ينحرون الجُزُر ، ويطعمونهم الدقيق ، ويلبسونهم العَبَاء ، حتى رفع الله البلاء .

اللحم ، والدقيق ، والملابس .. الغذاء والكساء ، تلتزم به الدولة ازاء الجماهير .. ضرورات الحياة .

وقال عمر لمندوبه الذي بعثه يلقى عير الشام :

« اما ما لقيت من الطعام فملْ به إلى اهل البادية . فأما الظروف فاجعلها لُحُفاً يلبسونها ، وأما الابل فانحرها لهم ياكلون من لحومها ، ويحملون ودكها ، ولا تنتظر ان يقولوا ننتظر بها الحيا (المطر) .. وأما الدقيق فيصطنعون ، ويُحرزون حتى ياتي أمر الله بالفرج » ..

اما عمر فقد تولى اطعام اهل المدينة ومن اجتمع اليهم بنفسه .. فكان يادم الخبز بالزيت يجعله ثريداً ، وينحر بين

الأيام الجزور فيجعلهـــا على الثريد ، ويأكل مع القوم مما يأكلون !

اشهدي ايتها الدنيا ماذا يفعل عمر .. حـاكم الأرض كلها ؟

يعد الطعام للجماهير ..

ثم يجلس معهم ، ويأكل مما يأكلون !

وجهاً لوجه ..

الحاكم والشعب .. ليس هناك حجب ولا عوائق ولا موانع .. وإنما الجميع في المعركة ، وفي التجربة ..

وهذا أعلى أنواع الحكم ، وأرفع أنواع الديموقراطيات !

فكم تتعرض الدول لكوارث الفيضانات أو الزلازل أو البراكين ، مما يؤدي إلى تشريد السكان وجوع المصابين ، فما علمنا أن رئيس الدولة يذهب بنفسه إلى الكارثة ، ويحرم على نفسه ملذات الحيـاة حتى ينعم بهـــا المصابون !

ولكن عمر .. ذلك الذي تخرج على يدي رسول الله .. يضرب للانسانية كلها أروع الأمثال .. ويعلمها أرفع أنواع الديموقراطية ، حين يمتنع عن تنـــاول كل صنف ليس في متناول كل الشعب ، وحين يعد الأطعمـــة بنفسه .. ويجلس وسط الجماهير يأكل معهـــا !.

أسرة واحدة ، وهذا أبوهم ، يأكل معهم !

ما أسعد الشعب بعمر ، ومـا اسعد عمر بالشعب .. إن هذا هو الاسلام !

فلما اقبلت الابل من العراق والشام ، كان ينحر على مائدته كل يوم عشرين جزوراً ، يطعمها الناس .

وكان له رجال مخـــابرات ، يجتمعون عنده إذا أمسوا ، فيخبرونه بكل ما رأوه يومهم .

يريد عمر أن يعرف الحالة على الطبيعة ، ربما هنـاك جياع لم يلتفت اليهم .

او عراة لم يهتم بأمرهم !

إحساس بالمسئولية فوق الاحساس نفسه !

احصائيات وبطاقات ؟

يظن كثير من الناس أن الإحصاء ، ونظام البطاقات شيء من مستحدثات عصرنا الحديث .

وإلى هؤلاء نقدم الدليل على أن عمر قد استعمل ذلك النظام أدق استعمال .

وأمر عمر ليلة بعد أن فرغ النـــاس من العشاء باحصاء الذين طعموا على موائده ، فكانوا سبعة آلاف رجل

وأحصيت العائلات التي لم تأت ، والمرضى ، والصبيان ، فكانوا أربعين الفاً .

وزاد هؤلاء وأولئك بعد أيام .. فكان الذين تعشّوا عنده عشرة آلاف ، والآخرون خمسين الفـــاً .

وكان العمال يَقدَمون في السّحر إلى قدور عمر ، فيعملون حتى يصبحوا ..

ثم توزع العصيدة ، ويوزع اللحم على المرضى والصبيان والأسر ممن لا ينالون طعامهم على موائد أمير المؤمنين !

هذا هو الاحصاء في عهد عمر ..

دقة متناهية .. وصورة حقيقية لواقع النـــاس ..

لا تجد فيه تلك الاحصائيات الخيالية التي يقدمها كثير من حكام هذا العصر إلى شعوبهم ، ليخدعوهم بهـــا ، ويموهوا عليهم حقيقة الدولة الاقتصادية .

واكثر من ذلك ..

كان عمر يتعهد هؤلاء جميعاً بنفسه ليطمئن إلى أنهم حصلوا على ما يدفع عنهم متاعب الجوع .

هـذا هو عمر أيها الناس ..

صدق ونظام وعدل ..

ورب قائل يقول : وأين إذاً نظام البطاقات الذي زعمت في عهد عمر ؟

قالوا : وكان عمر يرسل الدقيق والتمر والادام إلى منــازل القادرين على تهيئتها ، لغـذائهم شهراً بشهر .

يوزع ذلك عليهم في نظام يشبه نظام « البطاقات » أيام الحروب في عهدنا الحاضر ..

يزيد فيه وينقص منه على قدر ما عنده !

ارأيتم ؟

شهر بشهر .. يزاد وينقص حسب كميــة الموجود بخزائن الدولة !

روعة والله يا عمر .. واي روعـة ؟

اخطر مبادىء العدالة ؟!

وفي خلال تلك المعركة .. معركة الجوع ..

قال عمر :

« لو لم أجد للناس ما يسعهم ، إلا أن ادخل على اهل كل بيت ، عِدّتهم ، فيقاسموهم انصاف بطونهم ، حتى يأتي الله بالحيا (المطر) ، فعلت ، فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم » !!

تلألأ يا عمر تلألأ ..

تلألأ واسطع على آفاق الارض ، في عصر الذرة ، عصر الفضاء .. ليعلم اولئك المجانين ، انك قررت أخطر المبادىء العادلة قبل أن يكونوا في الوجود .

وسوف افصل كلماتك الغاليات تفصيلاً ، حتى يوقنوا أنك أنت الاعلى .

« لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا ان ادخل على اهل كل بيت عدتهم فيقاسموهم انصاف بطونهم » ..

عمر يقرر ، وقراره هنا كالقرار الجمهوري في هـذه الايام ، انه إذا لم يجد كل فرد في الشعب ما يكفيه من القوت ، لاصدر أمره بالزام كل أسرة ان تطعم مثل عددها !

الاسرة التي عددها خمسة ، ملزمة باطعام خمسة .

والتي عددها سبعة ، ملزمة باطعام سبعة .

وهكذا .. لمــــاذا ؟

ليقاسموهم انصاف بطونهم ؟!

مبدأ خطير جداً منك يا عمر ..

إنه يريد أن يقتسم كل فرد جائع نصف بطن الشبعـــان .

يا لها من فلسفة .. لا تصدر إلا من إشعاع رباني !

حتام هذا يا عمر ؟

حتى يأتي الله بالحيا ؟

حتى تنقضي المجاعة ، وتاتي الحياة الطبيعية ، ويجد كل إنسان مـــا يكفيه كما كان .

ثم يعلل عمر حكمه الخطير فيقول :

« فانهم لن يهلكوا على انصاف بطونهم » ؟!

صدقت يا اصدق قائل .. فانه لن يموت إنسان إذا اكل نصف

الطعام الذي تعوده ..

بل على العكس يزداد قوة .. فكأنك يا عمر تضرب عصفورين بحجر ، تعفي الشبعان من أضرار الشبع ، وتنقذ الجوعان من اضرار الهزال .

ومتى تقاسم الاثنان بطناً واحدة ، استقامت الحياة لكليهما ..

أفيلسوف أنت يا عمر ؟

كبرت كلمة تخرج من فمي ، إن أقول إلا كذباً !

ما كان عمر فيلسوفاً ، لا ولا شاعراً ، لا ولا خيالياً ، وما الفلسفة ، وما الشعر ، وما الخيال ؟

اوحال كلها وظلمات .. وأوهام وظنون وافتراضات .. ولكنك انت نور ، يقبس من نور محمد ، من نور الله ..

فاطلقتها يا عمر .. فيها جمال الحق ، وكمال العدل .. وما زالت تدوي ، وتدوي ، في الآفاق !

هل سمع العرب ..

هل سمع المسلمون ؟

هل سمع الغرب والشرق ؟

إن عمر قمة لا تدانى .

ماذا يستنبط من ذلك المبدأ ؟

نستنبط منه أن الدولة لها أن تسوس الشعب بما يحقق العدالة بين أفراده جميعاً .

وأن الاسلام لا يعرف شيئاً اسمه الحرية الفردية إذا تعارضت هذه الحرية مع مصلحة المجتمع .

فمصلحة المجتمع في نظره هي الحد الذي ينبغي أن تنتهي عنده حرية الفرد .

وأن هذا المبدأ الذي أطلقه عمر ، هو مبدأ اسلامي بحت ، لأن عمر يتكلم بفهم اسلامي ، وهو اوضح صورة للتطبيق الاسلامي الصحيح ..

ليتنا نكتب تلك الجملة الخالدة عن عمر في لافتات عريضة ، ونعلقها في المدارس ، والجامعات ، وافواه الطرق ، وفي كل مكان ، ليعلم الشعب الأعمدة الخالدة من عدالة الاسلام .

الأمة كلها تلتجيء الى الله ؟

عظمة هذا الاسلام ، أنه نظام دنيوي ، يرتكز على أساس سماوي ..

وحياة بشرية ، متصلة بخالق الحياة نفسه !

فليس الاسلام مادة جافة قاحلة منقطعة عن خـالق الوجود ، كما هو الحال في النظام المادي .

ولا هو إحصاءات وأرقام وبيانات ، كما هو الحـال في النظام الاقتصادي الغــــربي .

كلا .. وإنما هو اقتصاد ومادة ، حية متحركة ، تأخذ حياتها ، وحركتهـا من الله الحي الذي لا يموت .

ودائمـاً وأبداً تعتبر الشجرة الخضراء الضاربة بأصولهـــا في الأرض ، السامقة بفروعها في السماء ، أجمـــل وأفضل وأبهى من الأعواد الجافة ، المقتلعة من الأرض ، هشيماً تذروه الرياح .

تلك تمثل الحياة في بهجتها ..

وهذه تمثل الموت في كآبته ..

كذلك الاسلام .. إذا قورن بتلك النظم السائدة في أنحـــاء العـالم الآن ..

هو الشجرة الخضراء المتصلة بمصدرها وخـالقها ..

أما تلك النظم فمجرد أعواد جافة ، لا صلة بينهـا وبين الله مصدر الوجود والحيـاة ..

وسوف نرى الآن أبهج صورة من صور مجتمع عمر ، مجتمع الاسلام .. وأنها نظام حي .. يستمد حياته من قيوم السماوات والارض ..

بذل عمر ما هو فوق طاقة البشر ، في دفع المجاعة عن شعب الجزيرة العربية ..

إلا أن المقادير كانت فوق طاقة الرجل .. ففشا المرض في الناس ، وهلك منهم كثيرون .

فكان عمر يتعهد المرضى بنفسه ، ويبعث بالأكفان لمن مات ، ويصلي عليهم .

وقد استطاع خلال الأشهر التسعة التي قاسى الناس فيها هول الكارثة أن يخفف منها ما قدر أمراء الامصار على إمداده .

فلما قصرت مواردهم ازداد في شبه الجزيرة المرض والموت ، وبلغ الهول منهم أشده .

كان عمر ، رأس الدولة ، طيلة الأشهر التسعة يصلي بالناس العشاء ..

ثم يدخل إلى بيته ، فلا يزال يصلي حتى آخر الليل ، يضرع إلى الله ألا يجعل هلاك الأمة على يديه .

فلما اشتد الهول عزم عمر على أن تخرج الأمة كلها تجار إلى الله ، في وقت واحد ..

وقرر عمر أن يستسقي .

وكتب إلى نوابه في الأمصار ، أن يخرجوا بالنـــاس في يوم عيّنه لهم ، وأن يتضرعوا إلى ربهم أن يرفع البلاء عنهم ..

وفي الوقت المحدد للجميع ..

خرج عمر بالنـــاس .. إلى الصحراء .. وعليه بُرْد رسول الله ..

فلما انتهى إلى المصلى ، صلى ، وصلى الناس .

وتضرع وتضرعوا ..

وجأر إلى الله وجأروا ..

وألح في الدعاء وألحوا ...

وبكى عمر بكاء طويلاً بين يدي ربه ، وبكوا ..

كان العباس بن عبد المطلب قائماً إلى جنبه ، فأخذ عمر بيده ، ورفع رأسه إلى السماء وقال :

« اللهم إنا نستشفع بعم رسولك إليك ! » ..

ودعا العباس ربه ..

وبكى العباس بين يدي ربه ..

منظر خالد ..

أمة تخرج باكملها إلى الفضاء ، وعلى رأسها أميرها .. تجار إلى الله ، وتجار ، وتبكي وتتضرع ..

ما هـــذا ؟.

هذا هو الفارق بين النظم المادية ونظام السماء ..

أو بين نظم الموتى ونظام الأحياء .

وهذا ما يجعلنا نتشبث بنظامنا ، نظام الاسلام ، ونعض عليه بالنواجذ ..

لأنه بعد أن يقدم لنا أكمل النظم ، اقتصاداً واجتماعاً ، يبقى على صلتنا بالله الذي خلقنا ، تلك الصلة التي هي أثمن ما في الحياة ، والتي إذا انقطعت فقد الانسان أعز ما في كيانه .

ففي الوقت الذي عالج فيه عمر المشكلة الاقتصادية التي عرضت له أبرع علاج ، نجده يسارع ، ومن ورائه الأمة كلهـــا إلى الله ، يدعوه ويسأله ، ويبكي بـــين يديه ، أن يرفع القحط عن البلاد ..

وهذا هو الكمال الاجتماعي الذي يجعل الحيـــاة جنة وارفة الظـلال ..

دنيا ودين ، انسانية وربانية ، مادية وروحية .

ادعوني استجب لكم !

اخترقت أدعيـــات المؤمنين أجواز السماء ، وارتفعت إلى الله العظيم ، وعلم الله صدقهم في التجـائهم ..

فاستجاب لاضطرارهم ، وانفتحت أبواب السماء ، بماء منهمر ، وسيول دافقة .

فاهتزت أرض الجزيرة العربية ، وربت ، واخضرت ، وارتفع البلاء عن النـــاس .

فاصدر عمر أوامره باجـــلاء الاعراب الذين قدموا إلى المدينة بسبب المجاعة ..

وجعل يسير بينهم يقول :

« اخرجوا ! اخرجوا ! الحقوا ببلادكم » ..

ورحل الأعراب إلى باديتهم ، وعادوا إلى مألوف حياتهم ..

ينظر الماديون إلى ذلك الاسلوب ، حين خرج عمر ومعه الشعب كله يدعو الله سبحانه ، ينظرون إلى ذلك نظر المستهزىء ، لأنهم لا يعترفون بالله ، وبالتالي لا يعترفون بأي شيء يتعلق بهـذا الإله !.

وهذا ما يجعلنا دائماً شديدي الاستمساك بتوجيه الاسلام .

وقف تحصيل الزكاة !

ثم ندخل إلى مبدأ آخر خطير يقرره عمر ..

ذلك أنه لم يبعث ُجباته عام الرمـادة ليقبضوا الزكاة ، بل أخرهم إلى أن ارتفع الجدب .

فلما اطمأن الناس إلى العيش ، وكثرت عندهم مادته ، أمر الجباة أن يسيروا اليهم ، وأن يأخذوا من كل قادر حصتين .

حصة عن عام الرمادة ، وأخرى عن العام الذي بعده .

وأن يقسموا إحـدى الحصتين على المعوزين ، ويَقْدموا عليـه بالثانيـة .

وبذلك زاد في تخفيف الفقر عن الفقراء، ثم لم يرهق غيرهم ، ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به .

وهذا مبدأ آخر يضيفه عمر إلى مبـــادئه العديدة في سياسة الدولة .. أنه لا ضريبة إذا نضب معين الضريبة ، ولا زكاة إذا جف الضرع والزرع واستحال الأداء .

وهذا المبدأ هو ما يمضي مع العدل والرحمة ، إذ لا يعقل أن تحصل من الناس ضريبة عن رأسمـــال هلك وذهب !

وهكذا كان عمر حاكماً رؤوفاً بشعبه ، يحس مـا يحسون ، ويألم كما يـــألمون ..

ابو عبيدة ...

يقول لعمر ...

« أفراراً من قدر الله ...

يا عُمر » ؟!

مضت المجاعة بآثارها المخيفة .. فـأنزل الله بـلاء آخر على المسلمين ، يختبرهم به كما اختبرهم بالمجاعة !

فقد فشا الطـاعون في عَمَواس في أرض فلسطين ، ثم انتقلت عدواه إلى الشام .. فجعـل يفتك بكل من يصابون به فتكاً ذريعـاً .

لم يكن الواحـد منهم يطعن حتى يدركه الموت .

وطال الوباء شهوراً ، هلك أثناءهـا من المسلمين خمسة وعشرون الفاً بالشام وحدها .

وكان منهم ابو عبَيدَة بن الجرّاح ..

ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان .. وغيرهم كثير .

وانتشر الوباء فى العسكرين ..

كما انتشر في المدنيين على حد سواء ..

أَفِرَاراً مِن قَدَرِ الله يا عُمر ؟!

وكان عمر قد نوى الذهاب إلى الشام ، تفتيشاً وتنظيماً لشئونه ، بعدما تم فتحه من أقصاه إلى أدناه .

وسار من المدينة ، حتى إذا بلغ سرع على مقربة من تبوك لقيه أمراء الأجنـاد ..

ابو عُبَيْدَة بن الجرّاح ..

ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حَسَنة ، فاخبروه أن الأرض سقيمة ..

وقصوا عليه الطاعون وشدة إصابته .

وجمع عمر المهـــاجرين الاولين يستشيرهم : أيتابع طريقه إلى الشام مع ما فيها من وباء ، ام يعود أدراجه إلى المدينة ؟

واختلف رأيهم ..

فمن قائل : خرجت لوجه تريد فيه الله ومـا عنده ، ولا نرى أن يصدك عنه بلاء عرض لك .

ومن قائل : إنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه .

واختلف الانصار ..

كما اختلف المهاجرون .

وعندما كثر الخلاف ، جمع عمر مُهاجرة الفتح من قريش ، فاستشارهم ، فلم يختلف عليه اثنان ، بل قالوا جميعاً : ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء .

وأمر عمر فنادى ابن عباس في النـاس ليعدوا رواحلهم متى أصبحوا .

فلمـــا صلوا الصبح التفت عمر اليهم وقال : « إني راجع فارجعوا » .

لم يكن ابو عبيدة حاضراً مشاورات عمر ، وما انتهى اليه من رأي ، فلما عرف ذلك قال له :

« افراراً من قدر الله يا عمر ؟! » ..

ونظر عمر طويلاً إلى أبي عبيدة .

ثم قال :

« لو غيرُك يقول هذا يا ابا عُبيدة ! نعم ! فراراً من قدر الله إلى قدر الله ! » ..

وبينما الناس في هرج من هذا الشأن ، اقبـــل عبد الرحمن بن عوف ، فلما أخبروه الخبر قال : عندي من هذا علم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه » ..

وفرح عمر بهذا الحديث وقال : الحمد لله ، انصرفوا أيهـــا النـاس !

وعاد عمر ومن معه إلى المدينة ..

وعاد أمراء الأجناد ومن معهم إلى أعمالهم .

تلك هي الأقصوصة ..

فأين الحق من الاتجاهين ؟

الحق مع عمر .. أم مع أبي عُبيدة ؟

الواقع أن الحق مع عمر ، وآية ذلك أن حديث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم يدعو إلى مـــا ذهب اليه عمر ..

فهو يدعو الناس آلا يقدموا على الوباء ، وألا يخرجوا من بلد وقع فيــه ..

وهو التوجيه الذي سبق اتجاه العصر الحديث إلى الحجر الصحي في حالة الأوبئة ..

وبذلك سبق محمد صلى الله عليه وسلم .. كل نظام ، وكل علم وصل ، أو يصل اليه انسان !

هذا أمر مقرر معلوم .. لا نبدىء فيه ولا نعيد .. وإنما نحن بسبيل تلك القضية ..

قضية اختلاف أصحاب رسول الله في أمر الوباء ، فمن قائل بالعود ، ومن قائل بالمضي رغم ما وقع من وباء !

ثم عرض عمر الأمر عليهم ، واختلافهم فيه .. ثم نزولهم في النهاية على رأي من الآراء ..

ثم ازدادوا ثقة بذلك الرأي حين علموا فيه حديثاً لرسول الله !

ما هذا ؟

هذا اسلوب الشورى في الاسلام ، إذا عرض للحاكم أمر عرضه على أهل الرأي ، حتى يهديه الله فيه إلى أحسن الآراء .

فإن وجدوا رأياً لرسول الله في الأمر ، وجب الأخذ به ، وإلا اجتهدوا رأيهم .

وهذا نموذج للحرية العقلية عندهم ، يتناقشون ، ويختلفون ،

وكلهم يريد الخير العام ، والخير للجميع .

حتى إذا اخذ الحاكم برأي ، وجب نزول الجميع عليه ، المعارضون والمؤيدون .

ثم ما هذا الذي كان من أبي عبيدة .. حين قال لعمر :

« افراراً من قدر الله يا عمر ؟ » ..

وهذا الذي كان من عمر حين أجابه :

« لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ، نعم فراراً من قدر الله الى قدر الله » ..

ثم أردف عمر :

« أرأيت لو ان رجلا هبط وادياً له عُدوتان إحداهما خصبة ، والاخرى جدبة ، اليس يرعى من رعي الجدبة بقدر الله ، ويرعى من رعي الخصبة بقدر الله » ؟!

ما هذا الذي كان بين العملاقين ، الفاروق وأمين الأمة ؟

إنه حوار خالد ، يكشف عن عبقرية عمر .. وإيمان أبي عبيدة .

أما عمر ، فيرى أن الانسان يستعمل عقله فيما يعرض له من

أحداث ، ويأخذ بما يهديه اليه عقله ، وهو في أخذه ذلك إنما فرّ من قدر الله إلى قدر الله ..

وهي لعمري عبقرية فذة لك يا عمر ..

وأروع تحليل لتلك المشكلة ، مشكلة القـــدر ، التي انفقت البشرية عمرها تتجـــادل فيها ، وستظل تتجادل إلى يوم القيامة فيهـــا ..

عبقرية نادرة ، وعقلية عجيبة .. أن تقول .. فراراً من قدر الله إلى قدر الله ..

إن كل ما يجري في الكون قدر الله ، فأنا حين آخذ باتجاه ، واترك اتجاهاً آخر ، إنمـــا أنتقل من قدر إلى قدر !!

وأما أبو عبيـــدة فيريدها إيماناً وتسليماً ، وإقبـــالاً على الله وتفويضاً !

وهكذا نجد الحق دائمـــاً مع عمر ، يجريه الله على قلبه ولسانه ..

وهذا الذي يراه الفاروق ، هو ما ينبغي أن تتـــأقلم الشعوب العربية والاسلامية عليه ..

في هذه المرحلة من حياتها ، مرحلة الانطلاق نحو البنـــاء والتعمير ، ينبغي أن تعد لكل شيء عدته ، وأن تدبر أمرهـا وفق

أحسن أنواع التفكير ، واحكم أساليب السياسة ..

وتعلم بعد ذلك أن ما فعلت هو قدر الله ، وان الله أمر بالتدبر والتفكر وحسن السياسة ..

وهو ما ينبغي ان يكون عليه ساستنا وولاة امورنا ، من عمق في التفكير ، وبراعة في التدبير .

اماتَ أبو عُبيدة ؟!

وعاد عمر إلى المدينة ..

وكتب الى ابي عُبَيْدَةَ :

« اما بعد ، فاني قد عرضت لي اليك حاجة ، اريد أن اشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل إليّ » ..

وتلا ابو عبيدة الكتاب .. وأدرك ان عمر يريد ان يستنقذه من الوباء .. وان يحتفظ به حياً ليخلفه في إمارة المؤمنين ..

إلا أن أبا عُبيدة كان اسمى من ذلك كله .

كان يرى ان القائد ينبغي عليه ان يبقى مع جنوده في السراء والضراء ، يعاني ما يعانون ، ويألم كما يألمون ..

فقال : يغفر الله لأمير المؤمنين .

ثم كتب إلى عمر :

« إني قد عرفت حاجتك اليّ ، وإني في جند من المسلمين لا اجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست اريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه .. فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي » ..

وقرأ عمر هذا الكتاب .. فبكى ..

فسأله من حوله : أمات أبو عُبيدة ؟!

فأجاب ودموعه تسيل :

« لا .. وكان قد » ..

أرأيت ؟. كيف تسمو نفس أبي عُبيدة ، فلا يرى ان يترك جنوده في الطاعون ، وحول ناره ، ويذهب ليجلس حول امير المؤمنين بالمدينة .

أين هذا الفعل مما يكون من كثير من قادة العصر الحديث ، حين يجبنون عن المعارك ، ويدفعون اليها الشعوب ، وهم في

قصورهم يلعبون !

لكن أبا عُبَيدة ليس كذلك ..

إنه يريد أن يموت بالطاعون كما يموتون !

إخلاص ، حب ، واجب ، تضحية ..

كذلك كانوا ..

ومات الرجل الثاني !

قرأ عمر كتاب أبي عبيدة .. فبكي ..

وشاور أهل الرأي في الوسيلة التي ينقذ بها أهل الشام من الطاعون ..

ثم كتب إلى أبي عبيدة :

« إنك انزلت الناس ارضا عميقة ، فارفعهم الى ارض مرتفعة نزهة » ..

وإن ابا عبيدة ليفكر في تنفيذ هذا الامر ، إذ طُعن فمات !

ولقي امين الامة ربه راضيا مرضيا عنه .. مطعونا .. شهيدا

بين جنوده ، وأصحـــابه ، الذين احبهم واحبوه ، واخلص لهم واخلصوا له ..

مات أبو عبيدة الرجل الذي رشحه أبو بكر ليخلف رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يوم السقيفة ، حـين أشار عليهم أن يختاروا احدهمـا :

عمر او أبا عُبَيْدَة ..

وفقد عمر بموته « الرجل الثاني » الذي كان يطمع أن يخلفه في إمارة المؤمنـين ..

وكان يطمع ان يستنقذه من الطاعون ، فبعث يستدعيـه على عجل إلى المدينة ..

إلا أن قدر الله كان أسبق ، ومـــا تدري نفس بأي ارض تمـوت ..

وخلف أبا عبيدة ، معـــاذ بن جبل ، فطعن إبنه ، ثم طعن هو ، وماتا جميعاً .

واستخلف معاذ ، عمرو بن العاص .. فخطب الناس فقال :

« إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا

منه في الجبـــال ؟ ..

ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا في المرتفعات ، فـأذهب ذلك شدة الوباء ، وانتهى بزواله .

وبلغت عمر خطة ابن العاص في مقاومة الوباء ، فلم يكرهها ، بل رأى فيهـــا تنفيذاً للأمر الذي بعث به إلى أبي عبَيْدَة .

وزال الطـــاعون .. بعد ان افنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين الفاً .

وبعد ان انتقل من الشام إلى العراق ، ففتك فيه بـــأهل البصرة ، اشد مما فتك بغيرهم ..

وكان اهل البصرة من خيرة جند المسلمين .

فان زعموا انها حلال فاقتلهم !

ما سبب هذا الطاعون ؟

هل كان حتماً وامراً مقضياً ، ام كان بسبب معصية كانت من المسلمين ؟

قالوا : شرب جماعة من المسلمين ، من اهـــل الشام الخمر .

فكتب أبو عُبيدَةَ إلى عمر :

« إن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، فسألناهم . فتـــاولوا وقالوا : « خُيرنا فاخترنا .. قال : فهل انتم منتهون ، ولم يعزم علينـــا » .

لذلك جمع عمر اصحاب الرأي بالمدينة ، وقص عليهم ما جاء في كتاب ابي عُبَيْدَة .

فرأوا ان عبارة القرآن :

﴿ فهل انتم منتهون ﴾ ..

تعـني الأمر .

اي : فانتهوا ، واجمعوا على ان يُضرَبَ الذين شربوهـــا ثمانين جلدة ، وان يُفسّقوا .

وكتب عمر إلى ابي عُبَيدة ان ادعهم ، فإن زعموا انها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين .

ودعاهم أبو عُبَيدَة ..

وسألهم على رؤوس النـاس ..

فقالوا : إن الخمر حرام ..

فجلدهم ثمانين ثمانين .. وقال :

ليَحدُثنّ فيكم يا اهل الشام حادث !!

فكان الطـــاعون ..

*

ويذهب المتقدمون إلى اعتبار المعصية ، اي شرب الخمر ، هي سبب ذلك الطاعون ، على مذهب ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ..

وسواء اكان هذا هو الحق ، او ان الحق هو ان الله اراد الطاعون ، ولا راد لقضائه .. فإن الدلالة التي نأخذها من القضية ان ذلك المجتمع كان فيه صفتان .

الصفة الاولى : دوام التطور .

لم يكن هناك حد معلوم لشارب الخمر ، فـــاستفتوا انفسهم واجمعوا على جلده ثمانين ، واخذوا بذلك ، واستمروا في حيـاتهم .. ومضوا ..

لم يقولوا ، لا نجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله، ثم يقفون متحجرين امام الأحداث ..

كلا .. وإنما فوراً يتناقشون ، وفوراً ينتهون إلى رأي ، وفوراً ينفذون ذلك الرأي ..

قوم احياء يمضون مع الحياة سراعاً ..

وذلك هو المطلوب الآن منا كأمة تتطلع إلى الحياة الراقية ، وتريد ان تأخذ مكانها الطبيعي بين الاحياء ..

يطلب منا سرعة التفاعل مع الاحداث ، وسرعة التطور مع مطالب الحياة .. فإن لم نفعل مضت الحياة ، والقتنا بعيداً غير آسفة علينا .

اولئك السادة الحالمون المتثائبون .. الذين ما زالوا يتناقشون في أمور احلال هي ، أم حرام ، أمور كان ينبغي أن يفصلوا فيها من مئات السنين ..

هؤلاء يجب أن يتحركوا ، ويتفاعلوا سريعاً ، وإلا لطوح الناس بالدين كله غير آسفين عليه .

فما حرص الناس على دين لا يسعفهم بما يحتاجون اليه من شئون الحياة ؟

أما الصفة الثانية التي كان يتميز بها مجتمع عمر ..

فهي أنهم كانوا دائماً يخشون الله ، ويخافون أن يعـاقبهم الله بسبب معاصيهم ..

هذا أبو عُبَيْدَة ، ينـذر أهل الشام ، حين شرب قوم منهم الخمر متـأولين فيقول :

« ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث .. »

إنه شديد الخوف من الله أن يعاقبهم بظهور من يشرب الخمر في مجتمعهم علانية وفي وقـاحة ..

فإذا سئلوا قالوا : خيرنا فاخترنا ؟

ومتى كان المجتمع خائفاً من الله ، يخشى عقوبته في الدنيا ، والآخرة ، فهو مجتمع راشد يهدف نحو الخيرِ ويعمل له دائماً .

فاين نحن الآن من تلك الصفة ؟

لا شيء ..

المجتمع العربي الآن يتـلاشى منـه الخوف من الله كما يتلاشى النهار من الليل .

فما من معصية كبيرة أو صغيرة ، إلا وترتكب فيه ليلاً ونهاراً في وقاحة وبساطة ، كانما قد أصبحت عرفاً مقرراً لا تثريب على فـاعليه !

ومن هنا .. يجب ان يبدأ إصلاح المجتمع ..

يجب أن نراجع انفسنا ، ونراجع نظامنا كله ، فإن وجدنا في مجتمعنا معصية ، وجب علينا القضاء عليها فوراً ، قبل أن يقضي انتشارها بيننا علينا جميعاً ..

وما اكثر ما في مجتمعنا من المعاصي .

لقد توقع أبو عبيدة ان يحدث حدث في اهل الشام ، لما شرب بضعة نفر الخمر مرة واحدة ..

فكيف بنا نحن ! وفينا آلاف يشربون الخمور ، وما هو ادهى من الخمور وامر ..

مراراً وتكراراً ..

كيف بنا ، وماذا يحدث فينا من احداث بعد ذلك ؟

قتلى الطاعون ..
اكثر من قتلى الحروب !

الشيء الذي يستوقف النظر أن الطاعون زال عن الشام بعد ان افنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين الفاً ..

وبعد ان فتك بأهل البصرة اشد مما فتك بغيرهم .. ولا يعلم إلا الله كم عدد من فتك بهم من اهل العراق .

كان الحارث بن هشام قد خرج من المدينة إلى الشام في سبعين من اهل بيته ، فماتوا جميعاً ، لم يبق منهم إلا اربعة !

وقيل إن اربعين من ولد خالد بن الوليد .. ماتوا في هذا الطاعون ..

فما معنى هذا ؟

معناه ان المقادير تسخر من المخلوق المسمى بالانسان ..

الانسان يتحاشى الموت بكل ما يستطيع ، ويحرص على حياته بشتى الطرق ، فيأتي القدر بذلك الطاعون ، ويقضي على آلاف منه في بساطة !!

تبياناً للانسان انه ميت لا محالة ، هالك رغم انفه ، مهما حاول الفرار ..

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم . ﴾

وقد تعجب حين تعلم ان قتلى المسلمين في معارك الشام كلها لا يبلغون عدد قتلى الطاعون الذي حدث لذلك الشام ..

فما معنى ذلك ؟.

معناه ان الحرص على الموت يهب الحيـاة ، وليس الحرص على الحياة هو الذي يضمن تلك الحياة ..

لقد مات المسلمون الوفاً مؤلفة بالطاعون .

فماذا عليهم لو ماتوا الوفاً مؤلفة في سبيل الله ؟

فان أبوا ، فسوف يموتون رغم انوفهم ، ولكن وهم اذلاء لا وزن لهم في الحياة !

*

وهكذا مات ابو عُبَيدة بن الجرّاح ..

أمين الامّة .. حَقّ امينٍ ..

مات في الطاعون .. شهيداً .. بين جنوده الذين آثر ان يكون بينهم الى آخر لحظة من حياته الكريمة ..

وكان موته سنة ثمان عشرة من الهجرة !!

تحية ...

أبي عبيدة ..

ابن الجراح ..!؟

مِثال نادر ..

كل اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مُثُل عليــا ..

إلا أنهم .. رضي الله عنهم .. درجات ..

وتلك سُنّة الله في خَلْقه أجمعين ..

وكان أبو عُبيدة .. مستوى رفيعاً من اولئك الأكرمين !!

شخصيته من القرآن

أبرز آية في كتاب الله .. تتحدث عن شخصية أبي عُبيدة .. هي قوله تعالى :

﴿ لا تَجدُ قَوْماً يُؤْمنُونَ باللهِ واليوْم الآخِرِ

﴿ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ

﴿ وَلوْ كَانُوا آباءَهُمْ او أبنَاءَهُمْ أوْ إخوَانهُمْ أوْ عَشيرَتهُمْ

﴿ أولئِكَ كتَبَ في قُلوبِهِمُ الايمانَ

﴿ وَأيَّدَهم برُوحٍ مِنْهُ

﴿ ويُدْخِلُهُمْ جَنَّات تَجْري مِن تَحْتِها الانهَارُ

﴿ خالِدِينَ فيهَا

﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

﴿ وَرَضُوا عَنْهُ

﴿ أولئكَ حِزْبُ اللهِ

﴿ ألا إنّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفلحونَ . ﴾

[المجادلة ٢٢]

تلك الآية فيهـــا تحليل كامل لشخصية أبي عُبيدة ..

لـــاذا ؟

لأنها نزلت فيه .. حين قتل أباه في غزوة بدْر ..

فنزلت تثني عليـــه .. وتتحدث عن أسباب ما فعل بـأبيـه .

وها هي عناصر شخصيته كما سجلتها الآية .. ومَن أصدق من الله حديثاً ؟!

العنصر الاول ..

ذروة في الايمان :

من قوله سبحانه :

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ .. ﴾

نستنبط أن أبا عبيدة يؤمن بالله واليوم الآخر ..

أعلى إيمان بالله .. وأعلى إيمان باليوم الآخر ..

فهو من أسبق السابقين إلى الاسلام .. حيث هو تاسع مَن سبق إلى الاسلام ..

دخل إلى الاسلام .. في اشق فترة في هذا الدين .. حيث لا ينتظر مَن آمن إلا العذاب والتضحية بالنفس والمال !

العنصر الثاني ..

بريء من الكفّار ولو كانوا آباءهم :

يستنبط ذلك من قوله تعالى :

﴿ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَو إِخْوَانَهُمْ أَو عَشِيرَتَهُمْ .. ﴾

ما معنى هذا ؟!

معناه أنه انفصل انفصالاً تاماً عن الظلمات ودخل إلى النور .. وارتفع في مقامات النور ارتفاعاً عظيماً .. فتعذّر عليه أن يقوم بينه وبين احد من اهل الظلمات أي علاقة .. ولو كان هؤلاء آباءً أو ابناءً أو إخواناً او عشيرة !!

وهذا دليل على عظيم ارتفاعه في مقامات النور ..

وكلما ارتفع المرء في درجات النور .. اشتد بُعْدُه عن اسافل الظلمات ..

فمستحيل ان يكون هناك وُدٌّ بينه وبين ابيه .. لأنّ الوُدّ إحساس قلبي ..

وموجات اهل النور .. مضادة اوتوماتيك لموجات اهل الظلمات ..

فتجد الوُدّ يقوم بين أبي عُبيدة المهاجر .. وبين اخيه سعد بن معاذ الأنصاري ـ مَثلاً ـ ولا يقوم بين أبي عبيدة المؤمن . وبين أبيه الكافر المحارب لله ورسوله !!

لماذا ؟!

لأن موجة أبي عبيدة .. وموجة سعد بن معاذ .. متماثلتان .. موجتان نورانيتان .. فهُما متحابان .. اوتوماتيك ..

أما موجة أبي عبيدة .. وموجة ابيه .. فهُما متضادتان ..

أبو عبيدة .. نور ..

وأبوه .. ظُلمَة ..

فهناك استحالة ان يتوادّا .

ولو كان اباه .. الذي وُلِد من صُلْبِهِ !

نَواميس عميقة جداً ..

فلبئس اولئك الذين لا يعلمون !!

ولذلك يسجل الكتاب العظيم :

﴿ ولوْ كانوا آباءَهمْ ﴾ !!

لقد فصلت النواميس الإلهية بينهما .. منذ دخل أبو عُبَيْدَة هذا الدين مسلماً !!

* * *

العنصر الثالث ..

كَتبَ اللهُ في قلبه الايمان :

ما معنى :

﴿ اولئِكَ كتَبَ في قُلوبهمُ الايمانَ ﴾ !!

معناه عميق سحيق .. فلعلك تفهم !!

أي اثبت في قلوبهم الايمان ..

أي اعطاهم نِسْبة زائدة من الايمان ..

قِسطاً وافراً من الايمان .. يزيد عن العـادة ..

ما أثر ذلك في شخصية أبي عُبيـدةَ !!

أثره بعيد .. مديد !!

تتوالى الاحداث .. مُرُّها وحُلوها .. فلا تاثير لها في سلوكيات أبي عُبيْدَة !

يُضْرَب بالقوارع المهلكات .. التي تزول منها الجبـــال ..

وهو ثابت كالطود الراسخ .. تتكسَّر على جوانبـه القوارع ولا يزول !!

وتأتيه الدنيا بأعظم ما فيها من الفِتن التي يتصارع من اجلها الملوك ..

فيرفضها رفضاً باتـاً !!

مثال ذلك من شخصيته ..

حين رشحه أبو بكر للخلافة يوم السقيفة .

فـأبي !!

وحين رشحه عمر .. للخلافة .. حين أراد أنـ يستخرجه من طـــاعون الشام .. ليستبقيه ليكون أميراً المؤمنين من بعده ..

فابى !!

قارن بين أبي عبيدة هنا في الموقفين ..

وبين اولئك الصعاليك .. الذين يرتكبون قاذورات الجرائم والمؤامرات .. ليصعدوا إلى عروش فوق بحـار من الدمـاء !

تُدْرِكْ فوْراً .. عظمة أبي عبيدة ..

رجل .. عُرضت عليه الخلافة مرّتين ..

فـأبى ..

وآثر أن يموت بين جنده في المرة الأخيرة .. على أن يكون أميراً للمؤمنين !!

وأيّ منصب هذا الذي رفضه أبو عُبيدة ؟

اميراً للمؤمنين .. على عرشٍ يحكم آنذاك العالم بأكمله ..

كانت الدنيا قد سقطت كلهـا تحت قدم عُمر آنذاك ..

هذا هو العرش الذي يعرضه عليه عُمر .

عرش .. ينتظم مُلْك الأكاسرة شرقاً ..

ومُلك القياصرة غرباً ..

اي أنّ أبا عبيدة لوْ قبل .. لصار مَلِكاً للملوك ..

ولكن ..

قال : لا !!

ذلكم أبو عبيدة ايها الغافلون عن عظمة العظماء !!

العنصر الرابع ..

﴿ وايدَهم برُوحٍ منهُ ﴾ :

ما معنى قوله :

﴿ وَأيَدَهم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ !!

معناه .. بحر موّاج زخّار !!

رُوحٍ ؟!

مِمّن ؟!

﴿ مِنْهُ ﴾ !!

ها هنا سر شخصية أبي عُبَيْدة .. ايها الباحثون عن حقيقة أبي عبيدة !!

هناك تأييد ..

﴿ وايَدَهُمْ ﴾ ..

بماذا ؟!

﴿ بِرُوحٍ ﴾ !!

ما هي هذه الروح ؟!

هي ما وراء النور ..

مرتبة أعلى من النور ..

لا يظفر بها إلا المخلصون !!

كان أبو عُبَيدة يُسْقى منها !!

فما سمعت من عجائبه ..

فذلك منبعها !!

ومَن أيّدَه الله برُوحٍ منه ..

يرى كل شيء صغيراً ..

بل يتلاشى كل شيء من قلبه .. ولا يبقى إلا الله !!

كان أبو عبيدة قائداً عاماً للقوات الإسلامية المسلحة بالشام ..

وذهب امير المؤمنين عمر .. ليزوره في بيته .. فماذا وجد عُمر ؟!

لم يجد شيئاً غير أداة حربه .. وإناء للماء !

ولو تبحبح أبو عُبيدة قليلاً ما عاب عليه احد ..

ولكنّ ابا عُبيدة ..

مقام أعلى !!

مقـام ..

﴿ وايّدَهُم برُوحٍ منهُ ﴾ !!

* * *

العنصر الخامس ..

﴿ ويُدْخِلهمْ جَنات ﴾ :

انّ ابا عُبيدة احد العشرة المبشرين بالجنة !!

وهؤلاء إنما بُشّروا .. حيث لا خوف عليهم إذا بُشّروا .. أن يفتتنوا !

وهذا مقام رفيع .

حيث كوشفوا بمصيرهم السعيد .. فلم يزدهم ذلك إلا اخلاصاً وتثبيتاً !!

أما نحن العوام .. فلا يكشف لنا ذلك .. لأننا لسنا اهلاً لذلك !!

* * *

العنصر السادس ..

﴿ رَضِيَ اللهُ عَنهمْ وَرَضوا عَنهُ ﴾

وهذا أعلى مقام يمكن ان يبلغه السالكون إلى الله .. ليس فوقه إلا مقام النبوة ..

ومقام الرضوان ..

مقام اصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وكان أبو عبيدة .. في اعلاها !!

* * *

العنصر السابع ..

« اولئكَ حِزْبُ اللهِ » :

وكان ابو عبيدة .. في قمة ذلك الحزب ..

وهكذا حدّدت الآية عناصر شخصية أبي عُبَيْدة ..

اولا .. ذروة في الايمان ..

ثانيا .. بريء من الكافرين ..

ثالثا .. كتب في قلبه الايمان ..

رابعا .. أيّدَهُ برُوحٍ مِنْهُ ..

خامسا .. في اعلى درجات الجنّة ..

سادسا .. رضِيَ اللهُ عنه ورضِيَ عنه ..

سابعا .. في قمة حزب الله ..

فاغنت الآية الباحثين عن شخصية أبي عبيدة أن يبحثوا طويلا !!

رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

يتحدث عن شخصية ..

ابي عُبيدَة ؟!

اعلان إلى الامة كلها :

« قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« إنّ لِكُلّ امّةٍ اميناً ..

« وإنَ أمِينَنَا

« ايتها الأُمّةُ ..

« ابو عُبَيْدة بنُ الجرّاحِ .. »

ما معنى هذا ؟!

معناه .. اعلموا جميعاً .. إلى يوم القيامة ..

أنّ صفة الأمانة .. هي ابرز صفات ابي عُبيدَة .. العُليا ..

ايتُها الأمّةُ ؟!

يا كلّ فرد في الأمة الاسلامية .. ليس أحد مثل أبي عبيدة أمانة !!

★

أميناً حقّ امينٍ :

« قال النبيّ .. صلى الله عليه وسلم .. لأهل نجرانَ :

« لأبعثَنّ - عليكمُ -

« اميناً حقّ امينٍ ..

« فاشرفَ اصحابُهُ ..

« فبعثَ أبا عُبيدةَ .. »

تأكيد آخر بعد تأكيد ..

وتشريف بعد تشريف ..

حقّ أمينٍ ؟!

الكل يتطلع أن يكون هذا الأمين ..

فبعث أبا عُبيدة !!

وامين هذه الأمة ؟!

ومن حديث الترمذي :

« .. ولكل أمة أمين ..

« وامين هذه الأمة ..

« ابو عبيدة بن الجراح .. »

الصفة الغالبة ..

في شخصيته ..

الأمانة !!

الأحاديث كلها .. تتضافر في اثبات صفة الأمانة لأبي عبيدة ..

فما هي هذه الامانة ؟!

وما معنى أمين الأمة ؟!

معناه أن أبا عبيدة .. اوتي نسبة زائدة عن غيره من

الأمانـة ..

انّ الأمانة هي الصفة الغالبة من صفاته ..

ولكن ما هي هذه الأمانة ؟!

بالتأمل في تصرفات أبي ُعبيـدة في الاعوام الثلاثـين التي قضاهـــا في الإسلام .. نلمس بروز هذه الصفـة في احواله كلها ..

سبق غـيره إلى الاسلام ..

وهذه أمانة ..

حيث ان الله خلق الإنسان ليكون له عبــداً .. فكان أسبق الناس لتحقيق ذلك من نفسه !!

وشهد مشاهد الاسلام كلها ..

في عصر النبوة ..

وعصر أبي بكر ..

وعصر ُعمر ..

حتى توفاه الله .. فما افتتن في موقف من المواقف .. ومـــا بدّل تبديلاً ..

وهذه أمانة !!

والتقى بأبيه في غزوة بدر .. فقتله في الله ..

وهذه اقصى الأمانة ..

حين يضحي بمشاعره كلها في الله !!

وطلب وفد نجران .. ان يبعث معهم أميناً ..

* فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« قُمْ .. يا أبا عبَيدَة بنَ الجرّاح » !!

ونازعه عمرو الإمارة ..

فتركها لعمرو ..

وتطاوع له ..

وصلّى خلفه ..

وهذه امانة !!

ورشحه أبو بكر .. ليكون خليفة .. يوم السقيفة ..

فأبى ..

وهذه امانة ..

بل قمة الأمـــانة !!

وعزله أبو بكر عن القيادة .. وولّى خالداً مكانه .. قُبيل معركة اليرموك ..

فقال قولته الخـالدة :

« بارك الله لخليفة رسول الله فيما رأى ..

« وحيّانا الله خالداً .. » !!

وأيّ امانة هي اعظم من هذا ؟!

ونظّم خالد بن الوليد .. جيوشه لمعركة اليرموك .. وجعـل أبا عُبيـدَة على القلب ..

فرضي أبو عُبيـدة .. واخلص في المعركة .. وهو المعزول منذ ساعات ..

وهذه امانة !!

وعيّنه عُمر .. قائداً عاماً ..

بدلاً من خـــالد ..

فحفظ لخالد مكانته .. واشركه في قيادة فتوحاته بالشام ..

وهذه امانة !!

وأمَرَ له عمر .. بأربعة آلاف درهم .. بعد ان قام بتوزيع المعونات ..

فقـال :

« لا حاجة لي فيها يا امير المؤمنين ..

« إنما اردت الله وما قِبَله ..

« فلا تدخل عليَّ الدنيا .. » !!

وهذه امانة !!

لا يريد حظّاً من الدنيا قطّ !!

واخـيراً .. وليس آخراً ..

أراد عمر .. في عـــام الطاعون .. ان يستدعيه ليستبقيه عنده .. ليكون أميراً للمؤمنين من بعده ..

فـأبى ..

وهذه امانة !!

وصفات من مكارم الأخلاق لا تحصى !!

لقد بلغت صفة الأمانة فيه اعلاها ومنتهاهـــا !!

— تم —

فهرس

صفحة

صفحة

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه حياة مَن قال فيه .. رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« لكلِّ أمّةٍ أمينٌ ..

« وأمينُ هذهِ الأمّةِ ..

« أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرّاح . » !!

وقال فيه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم :

« نِعْمَ الرّجُلُ أبو بَكرٍ ..

« نِعْمَ الرّجُلُ عُمَرُ ..

« نِعْمَ الرّجُلُ أبو عُبَيدة بن الجرّاح . » !!

الرجل الذي عُرضَ عليه أن يكون أميراً للمؤمنين .. مرّتين .. فأبى !!